جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مصر في عيون أدباء الطفل في القرن العشرين

دراسة موضوعية وصفية

إعداد

أ.م.د محمد توفيق هنداوي حرحش

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

كلية التربية بدمنهور.

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مصـر في عيـون أدبـاء الطفـل.

محمد توفيق هنداوي حرحش
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة دمنهور، مصر
البريد الالكتروني: harhash@gmail.com

الملخص:

صار أدب الطفل أرضا خصبة لكل من الأدباء والباحثين على حد سواء، فلم يعد ميدانا جديدا يخشى الأدباء خوض غماره، أو ذلك الأدب الناشيء الذي يخشي الباحثون التنقيب فيه، بل صار فنا ناضجا تكاملت أدواته الفنية والبحثية على صعيد متنام لذلك لم يعد هناك حاجة ملحة للوقوف على معنى أدب الطفل أو أهميته أو وظائفه وغير ذلك من المقدمات التي كانت تكتب عندما كان فنا وليدا يحتاج إلى التعريف به أو إن شئت فقل إقناع القراء بهذا المضمار، ومما يؤكد ذلك أن أدب الطفل قد تباري فيه كبار الشعراء وعلى رأسهم أمير الشعراء أحمد شوقي، كما صار بوتقة لكثيرمن الموضوعات المهمة في حياتنا؛ ولا أهم بعد الله–ـ تعالى–ـ من الوطن الذي نجود له بالروح و الجسد معا، ونبذل له النفيس الغالي من أجل الحفاظ على مقدراته وحمايته من الأعداء ولقد أدرك الأدباء بصورة مباشرة أو غير مباشرة هذا الأمر، فراحوا في كتاباتهم للأطفال يشكلون وجدانهم بقيمة الوطن، ويعلون من شأنه في نفوسهم ولقد تباينت الصور والأشكال التي اعتمدها الأدباء من أجل تحقيق هذا الغرض، ومن أجل أن يخرج البحث بصورة منهجية اعتمدت المنهج الوصفي في عرض وتقسيم المادة المجمعة، وقد اشتمل البحث على: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أبرزها: أن أدباء الطفل قد أسهموا في رسم الهوية المصرية وتقديمها للأطفال في قالب أدبي.

الكلمات المفتاحية: مصر، أدب الطفل، الأدباء، الأدب، الشعراء.

Egypt in the eyes of children's writers.

Muhammad Tawfiq Hindawi Harhash
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Damanhour University, Egypt
Email: harhash@gmail.com

Abstract:
Children's literature has become a fertile ground for both writers and researchers alike. It is no longer a new field that writers fear to delve into, or that emerging literature that researchers fear to explore. Rather, it has become a mature art whose technical and research tools have integrated on a growing level, so there is no longer any An urgent need to find out the meaning, importance, or functions of children's literature, and other introductions that were written when it was a nascent art that needed to be introduced to it, or if you wish, say to persuade readers in this regard, and what confirms this is that children's literature has competed in it with great poets, headed by the Prince of Poets Ahmed Shawky, as it has become a crucible for many important issues in our lives; There is nothing more important, after God Almighty, than the homeland, for which we give our soul and body together, and give it the precious precious in order to preserve its capabilities and protect it from enemies. The images and forms adopted by the writers varied in order to achieve this purpose, and in order for the research to come out systematically, the descriptive approach was adopted in presenting and dividing the collected material. The research included: an introduction, three topics, and a conclusion, and it was proven by sources and references. To several results, most notably: that children's writers have contributed to drawing the Egyptian identity and presenting it to children in a literary form.

Keywords: Egypt, Shildren's Literature, Writers, Literature, Poets.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

مما لا شك فيه أن أدب الطفل قد صار أرضا خصبة لكل من الأدباء والباحثين على حد سواء ، فلم يعد ميدانا جديدا يخشى الأدباء خوض غماره ، أو ذلك الأدب الناشيء الذي يخشي الباحثون التنقيب فيه ، بل صار فنا ناضجا تكاملت أدواته الفنية و البحثية على صعيد متنام. ولذلك لم يعد هناك حاجة ملحة للوقوف على معنى أدب الطفل أو أهميته أو وظائفه وغير ذلك من المقدمات التي كانت تكتب عندما كان فنا وليدا يحتاج إلى التعريف به أو ـ إن شئت فقل ـ إقناع القراء بهذا المضمار . ولا أريد القول بأن أدب الطفل قد صار وأدب الكبار فرسي رهان ، يمتلكان من المقومات ما تجعلهما لا يفترقان ، ولم لا ؟! ألم يخرجا من بوتقة واحدة وهي بوتقة الفن الأدبي ؟! أليست الموهبة الفنية هي الحكم عليهما وإن تباينا في بعض معايير الحكم ؟!.

ومما يؤكد ذلك أن أدب الطفل قد تباري فيه كبار الشعراء وعلى رأسهم أمير الشعراء أحمد شوقي ، كما صار بوتقة لكثيرمن الموضوعات المهمة في حياتنا ؛ ولا أهم بعد الله ـ تعالى ـ من الوطن الذي نجود له بالروح و الجسد معا ، ونبذل له النفيس الغالي من أجل الحفاظ على مقدراته وحمايته من الأعداء . ولقد أدرك الأدباء بصورة مباشرة أو غير مباشرة هذا الأمر ، فراحوا في كتاباتهم للأطفال يشكلون وجدانهم بقيمة الوطن ، ويعلون من شأنه في نفوسهم . ولقد تباينت الصور والأشكال التي اعتمدها الأدباء من أجل تحقيق هذا الغرض .

وهنا تأتي مهمة الباحث في استكمال الصورة التي سعى الأدباء لتحقيقها واستكمال الدائرة الناقصة واستخراج ملامحها المتفرقة في ثنايا الأعمال الفنية ، بل و المبعثرة في النتاج الفني للأديب الواحد ، وقد توكلت على الله ـ تعالى ـ وبذلت من الجهد و الوقت و البحث ما أدعو به الله ـ تعالى ـ أن يكلله بالنجاح من أجل الإجابة على عدد من التساؤلات وأهمها :

١. هل حاول الأدباء رسم صورة متكاملة عن مصر وتقديمها للأطفال ؟
٢. هل هناك كتابات للأطفال تنبئ عن صورة مصرية متكاملة ؟
٣. ما أهم المحاور التي اعتمد الأدباء عليها في رسم صورة مصر ؟
٤. ما الأهداف التي سعي الأدباء لتحقيقها من رسم الصورة المصرية ؟
٥. ما أهم المفارقات التي وجدت في أعمالهم الفنية ؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات صادفتني مجموعة من الصعوبات ؛ أهمها:

١. صعوبة معرفة الأعمال الفنية لكل أديب وحصرها.
٢. صعوبة معرفة كل ما كتب عن مصر للأطفال .
٣. صعوبة معرفة أماكن الأعمال الفنية التي تحدثت عن مصر أو الوصول لها في حالة معرفتها
٤ـ الطريقة الصحيحة لدراسة وتصنيف ما تم تجميعه عما كتب عن مصر وتقديمه في صورة منهجية .

ومن أجل أن يخرج البحث بصورة منهجية اعتمدت المنهج الوصفي في عرض وتقسيم المادة المجمعة ، وقسمت بحثي : مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت بالمصادر و المراجع على النحو الآتي :

أولا : المقدمة : تناولت فيها أهمية البحث ، والتساؤلات التي دفعتني لاختيار الموضوع، والصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث ، و المنهج المعتمد في كتابة البحث .

ثانيا : المبحث الأول ؛ مصر الفرعونية : وتناولت فيه أهم الأعمال الأدبية الموجهه للأطفال عن تاريخ مصر الفرعونية وأهم السمات التي اتسمت بها هذه الأعمال وأهم أهدافها .

ثالثا : المبحث الثاني ؛ مصر الإسلامية : وتناولت فيه أهم الأعمال الأدبية المستوحاه من التاريخ الإسلامي المصري التي كتبها الأدباء للأطفال .

رابعا : المبحث الثالث ؛ مصر الحديثة : وتناولت فيه بالبحث و الدراسة أهم الأعمال الفنية المتأثرة بالفكر السياسي المصري و انعكاس القضايا العربية في أدب الطفل ، وأخيرا الطبيعة المصرية وصداها في الأدب المقدم للأطفال .

خامسا : خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت لها في بحثي .

وبعد فما كان من توفيق فهو من الله . تعالى . وماكان من نقص فهو من نفسي . وأرجو من الله . تعالى . التوفيق و السداد .

المبحث الأول

مصر الفرعونية في عيون أدباء الطفل

مما لا شك فيه أن أدباء الطفل قد وجدوا في تاريخ مصر الكبير ، وماضيها العريق أرضا خصبة ومادة شائقة قد مكنتهم من تطويعها وتقديمها في قالب فني للأطفال . ولا عجب في ذلك فتاريخ مصر تاريخ عريق يرجع إلى مصر الفرعونية ويمتد إلى حاضرنا . ولقد سعى أدباء الطفل إلى تصويربعض الأحداث من ذلك الماضي التليد وتقديمها للطفل في شكل فني يجمع بين الحس الوطنى و العمل الإبداعي مما ينعكس على الطفل المصري فكرا ووجدانا ومتعة فنية.

ومن أقدم الموضوعات في هذا الصدد و التي تناولها أدباء الطفل قصة " أحمس بطل الاستقلال " من تأليف عبد الحميد جودة السحار حيث تناول أحداثا وقعت بمصر الفرعونية " حوالي سنة ١٧٨٥ قبل الميلاد انهارت الأسرة الثانية عشرة واعتصمت مصر بوحدتها بضع سنين ، ثم نشبت بين الأمراء منازعات داخلية ، وبذلك ابتدأ عصر من أظلم عصور التاريخ الفرعوني استمر نحو قرنين من الزمان "[١]ثم يتحدث عن الهكسوس ودخولهم مصر " وفي عصر الملك فيمايوس أغار على مصر قوم شرقيون عرفوا بالهكسوس وقد نعتهم المصريون بالقذرين و الرعاة تحقيرا لهم"[٢] ثم يتحدث المؤلف عن أحمس وما صنعه من أجل طرد الهكسوس من مصر " وورث عنه الحكم ابنه أحمس الأول بطل أول استقلال في تاريخ مصر القديم وتقع حوادث هذه القصة في عصره وبانتصاره

١ عبد الحميد جودة السحار: " أحمس بطل الاستقلال " مكتبة مصر ١٩٧٧ صـ ٥

٢ المرجع السابق صـ ٥

على الهكسوس أسس الأسرة الثامنة عشرة .. أسرة الفتوحات الفرعونية العظيمة "[١] .

ومما لا شك فيه أن هذه القصة تعكس فكر السحار الذي يقول " أحسست أن التراث الإسلامي والثقافة العربية تمثلان شيئا هاما وجوهريا داخل حلقات التطور الفكري لمصر عبر العصور، وأنه لا يمكن تطوير الأدب وتطور الثقافة المصرية دون العودة إلى استلهام هذا التراث وتحقيقه على المستويين الفكري والفني..."[٢].

وقد استخدم السحار الخيال في وصف الأحداث وفي رسم صور بصرية للقارئ مما يجعل القارئ ينتقل بذهنه إلى مكان الحدث . ومما لا شك فيه أن مثل هذا الخيال يتناسب مع فئة عمرية من الأطفال يقول السحار : " كان السكون مخيما على الكون ، وكان الظلام ناشرا ألويته، ولم يكن يعكر سكون الليل سوى ارتطام مياه النيل بالشاطئ ، ووقع أقدام آيب وهو يذرع الشاطئ جيئة وذهوبا . وكان آيب كلما شعر بالتعب جلس على حجر ، ثم لا يلبث أن يستأنف سيره وهو بادي القلق "[٣] .

ويعرض السحار قضاياه في أسلوب سهل يدعم من خلاله حب الوطن ودحض الاحتلال من خلال تصويره مواقفا وطنية لبعض المصريين مثل شخصية (زازا مانخ) مساعد الأمير(أونش) ؛ وذلك أن الهكسوس وعدوا الأمير أونش بحكم جنوب مصر إذا ساعدهم في التخلص من أحمس ولكن مساعده رفض مساعدة الأمير وأعطاه درسا في حب الأوطان :

---

١ المرجع السابق صـ ٧

٢ يوسف زيد: التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٩٠

٣ عبد الحميد جودة السحار: " أحمس بطل الاستقلال " مرجع سابق صـ ٨

". بل الشمال مسلوب الحرية مضغوط على أنفاسه حتى إنه لا يستطيع أن يجأر بالشكوى والأنين . سترى يا مولاي ثورة الشمال عندما تحل قيودهم ، سيكون انتقامهم قاسيا ورهيبا .

. كأنك من أعوان أحمس لا من أعواني ، وكأنه ولي نعمتك وسبب سعادتك

. إني مصري يا مولاي قبل كل شيء ، وكل مصري يتمنى ذلك اليوم الذي يزاح فيه كابوس الاستعباد عن صدره نريد أن نتنسم نسيم الحرية ، نريد أن نحطم سلاسل الرق و العبودية

. أتكفر نعمتي وترفض إطاعتي ؟!

ـ إنى لا أكفر نعمتك ولو طلبت روحي لجدت لك بها ، ولكنك تطلب ما هو أغلى من روحي .. تطلب منى أن أبيع أهلى وعشيرتي وأن أساعدك على وضع قيود الاستعباد في أيديهم إلى الأبد"[١] .

والسحار في خضم كل هذا لا ينسي أن يقدم لوحة فنية بين الوقت و الأخر ؛فبعد محاولة الأمير أونش الفاشلة لقتل الأمير أحمس نجده يقدم وصفا جميلا للصباح " وراح النسيم يمرح في الحديقة ويداعب الأغصان في رفق ويقبل خدود الورد ويشاغب الماء فيعبس ويظهر على وجهه تلك التجعدات الخفاف " [٢].

.[٢]

وفي ثنايا هذه الأحداث لا ينسي السحار أن يقدم الحقائق التاريخية من وقت لآخر ؛ فمن ذلك رسالة ملك الهكسوس (أبوبي) إلى أمير الجنوب (آبي):

". أرسلنا الملك أبوبي لنخبركم أن أفراس البحر المقدسة ببحيرة طيبة تحرم جلالته من النوم ، فصياحها يرن في أذنيه ليلا ونهارا .

١ المرجع السابق صـ٤٢

٢ المرجع السابق صـ٥٣

ـ فقال آبي : إن بيننا وبين أواريس سفر أيام وليال فكيف تصل أصوات أفراس البحر إلى مسامع مولاكم .

. فقالوا وقد كلفنا أن نخبركم أنه سيأتى بنفسه ليقتلها . "[1] .

وقد وردت هذه القصة في كتب التاريخ على النحو التالي : " وكان الملك «أبو فيس» يرغب في خلق موضوع للنفار بينه وبين الملك «سقنن رع» أمير المدينة الجنوبية.

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبو فيس» بإحضار ... رئيسه ... (عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات، وقد حاول «مسبرو» أن يملأها على وجه التقريب).

(... وقال لهم (أي المستشارين): إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولًا إلى المدينة الجنوبية لألصق تهمةً بالملك «سقنن رع»)، و... لم يعرفوا كيف يجيبونه، وعندئذٍ أمر بإحضار كتَّابه والحكماء من أجل ذلك، فأجابوه قائلين: «أيها الحاكم، يا سيدنا ... توجد بحيرة فرس بحر (في المدينة الجنوبية ...) النهر (...) وهي (فرس البحر)، لا تسمح للنوم أن يأتي لنا نهارًا ولا ليلًا؛ لأن الضجيج في أذننا، وعلى ذلك أرسِلْ جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية ... الملك «سقنن رع»، ودَعِ الرسولَ يَقُلْ له: الملك «أبو فيس» (...) يأمرك بأن تجعل فرس البحر يترك البحيرة ... وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه؛ لأنه لا يميل لإلهٍ في الأرض كلها إلا «آمون رع» ملك الآلهة.»

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك «أبو فيس» إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التي قالها له كتَّابه والحكماء، ووصل رسول الملك «أبو فيس» إلى أمير المدينة الجنوبية فأخذوه إلى حضرة الأمير، فقال الواحد

---

١ المرجع السابق صـ٦٩

(الفرعون) لرسول الملك «أبو فيس»: ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية؟ وكيف قطعتَ هذه الرحلة؟ فقال له الرسول: «لقد أرسل لك الملك «أبو فيس» يقول: مُرْ بأن يهجر فرس البحر بحيرته التي في ينبوع المدينة الجاري (المدينة هنا طيبة)؛ لأنه (أي: فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشاني ليلًا أو نهارًا؛ إذ إن أصواته المزعجة في أذني.»

وعندئذٍ بقي أمير المدينة الجنوبية صامتًا، وبكى مدة طويلة، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابًا لرسول الملك «أبو فيس»، فقال له أمير المدينة الجنوبية: كيف سمع سيدك عن البحيرة التي في ينبوع المدينة الجاري؟ فقال له الرسول: ... الموضوع الذي من أجله قد أرسلك (؟)، وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك «أبو فيس» كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز ... وقال له أمير المدينة الجنوبية: ارجع إلى الملك «أبو فيس» سيدك! ... أي شيء تقول له سأفعله عندما تأتي (؟) (...) وعاد رسول الملك «أبو فيس» مسافرًا إلى المكان الذي فيه سيده."[١]

وعلى هذا النحو نستطيع القول بأن السحار قد جمع في هذا العمل الفني بين الحقائق التاريخية وبين فنية الأسلوب وكذلك سعى لتحقيق أهداف تربوية ووطنية في نفوس الأطفال بتعريفهم تاريخهم المشرق من جهة ومن جهة أخري تحبيبهم في الوطن وزيادة الحس الوطنى لدي الأطفال .

وقد اعتمد المؤلف الوصف في أسلوبه ليقرب إلى الأذهان صورة هذا المجتمع الذي يمتد بعيدا في الماضي ؛ فمثلا حينما يتحدث عن مناسبة فإنه يغرق في الوصف حتى يعطي مساحة أكبر للتخيل ؛ يقول في وصف عيد إيبت

١ سليم حسن : موسوعة مصر القديمة ؛ عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ، الجزء الرابع ط٢٠١٩ صـ ١٨٤

(رأس السنة) " لبست طيبة حلة قشيبة في يوم رأس السنة الجديدة، وأقبل الناس من البلاد القريبة و البعيدة ليشتركوا في عيد إيبت وليقدموا القرابين " للثالوث" العظيم المكون من : آمون طيبة وزوجة موث وابنه خونسو ، واتجه الناس من جميع الطبقات إلى سوق طيبة ليقضوا حوائجهم وليستعدوا لليوم العظيم .

وجلس التجار أمام حوانيتهم ، وكانت تتألف من خيم أو مظلات متوسطة الاتساع مفتوحة من الجهة الأمامية و البضائع مكدسة فيها ، فكان بعضهم يعرض صناديق بديعة الصنع جميلة المنظر ، وجلابيب مزخرفة نادرة ، وبعضهم الآخر يعرض أقراطا وأساور وغيرها ، وجلس في ناحية من السوق صائغ أمام فرن صغير ، وكان منهمكا في عمله و الناس يشاهدون ما يقوم بصنعه ويعجبون بمهارته ودقته . " [1].

فالسحار يقدم تفاصيلا دقيقة ليرسم مشهدا متكاملا في ذهن القارئ ينقله إلى جو الأحداث، وكأن القارئ يعيش هذه اللحظة بأم عينيه ، ومن تلك المشاهد التى صورها السحار أيضا بأسلوبه الجميل القريب من مدارك الأطفال مشهد المعركة بين أحمس و الهكسوس " وكان جنود الهكسوس يتراشقون بالسهام مع جيش الأمير أحمس فأمر ابن ينب جيشه بالهجوم فانقض الفرسان على جنود الأعداء انقضاض الصاعقة . ووجد الهكسوس جيش الشمال يطعنهم في ظهورهم فدب الذعر في صفوفهم وساد بينهم الهرج و المرج واختلط الحابل والنابل والتحم الجيشان واستعملت الخناجر و الحراب و انتشرت الأشلاء ، وأخذ جنود الهكسوس يدافعون عن أنفسهم دفاع المستميت ... " [2]ويستمر السحار في تقديم

١ عبد الحميد جودة السحار: " أحمس بطل الاستقلال " مردع سابق صـ٩٣

٢ المرجع السابق صـ١٥٣

لوحات فنية متكاملة تصور أحداث المعركة وتجذب لب الأطفال ومداركهم ، وتجعلهم في ترقب مستمر لما سيحدث وفي شوق لمعرفة نتيجة المعركة حتى إذا ما انتصر المصريون وطردوا الهكسوس من البلاد وتابعهم أحمس حتى أبعدهم عن مصر تماما قدم السحار مشهدا آخر لفرحة المصريين بتحرير أراضيهم وطرد الاحتلال . والمؤلف وإن كان يسرد أحداث مصر الفرعونية ويقدم مشاهد متعددة للحياة آنذاك فإنه في الوقت ذاته يقدم ويضرب أروع الأمثلة في الزود عن الأوطان والتضحية بالروح من أجل الدفاع عن البلاد في لغة شائقة وأسلوب تستسيغه الأفئدة و الأسماع .

أما الدكتور عز الدين فراج فيسرد في مجموعته القصصية (كفاح شعب مصر) عدة قصص من التاريخ الفرعوني وفي مقدمتها كفاح المصريين ضد الهكسوس ، والمؤلف يسرد أحداث قصته مستخدما ضمير الغائب ؛ ولعل السبب في ذلك يرجع لسعيه الدءوب في غرس بعض القيم لدي الأطفال بصورة غير مباشرة مستفيدا بما تتسم به هذه الطريقة من مميزات ، لذا نجده ينمي لدى الطفل بعض القيم الإيجابية مثل أهمية الوحدة ؛ يقول المؤلف متحدثا عن دخول الهكسوس إلى مصر " لقد تسلل هؤلاء القوم إلى مصر ، أيام أجدادنا الفراعنة ، أغاروا عليها من الشمال ، حتى وصل زحفهم إلى ما نسميه الآن محافظة الشرقية ، وعسكروا في بلدة أورايس وأقاموا بها ، وجعلوها عاصمة يعتصمون بها. وبدأ هؤلاء القوم يتدخلون في شئون مصر ، ويزحفون حتى امتد نفوذهم إلى كثير من أرجائه ، عاملين على تفرقة صفوف الشعب المصري ، وإخماد قوته ، وإضعاف كلمته "[١] ثم يتحدث عن عدد من المصريين الشرفاء الذين رفضوا الظلم

١ عز الدين فراج : كفاح شعب مصر القاهرة ٢٠١٨ صـ٣

وقرروا محاربة الهكسوس " فصاح أمير (بوتو) قائلا : لقد تجاوز الظالمون المدي

وصاح أمير قفط قائلا : لن نقبل هذه الإهانة أبدا .

وصاح أمير أرمنت : لابد من تأديبه وطرده من هذه البلاد " [١]

وبالرغم من الإيجاز الشديد لمجريات أحداث هذه القصة مقارنة بقصة " أحمس " للسحار ، فقد انطوت هذه القصة على قدر من الخيال ، فاستخدم المؤلف بعض الصور وإن كانت قليلة جدا مقارنة بقصة أحمس للسحار واتسمت كذلك بالوضوح الشديد ؛ يقول " وما إن التقي جيش أحمس بهؤلاء الرعاة الدخلاء حتى اندفع نحوهم اندفاع الأسد نحو فريسته وانقض عليهم انقضاض الطير الجارح على صيده " [٢].

ويسير عز الدين فراج في القصة الثانية على نهجه في القصة السالفة؛ فيسرد قصة المصريين القدماء مع قمبيز الذي حاول خداع المصريين ولكنهم وقفوا ضد هذا المستعمر وتوحدت كلمتهم ضده ؛ يقول المؤلف :" فإذا بهم يقومون قومة رجل واحد في وجهه ثائرين متمردين حتى حولوا وادي النيل إلى شعلة ملتهبة من الكفاح الشعبي " [٣]وكأن الكاتب يريد التأكيد على وحدة الصف في مواجهة الأعداء .

أما الأستاذ أحمد نجيب فيكتب قصته " مسلة كليوباترا " ليعرف الأطفال بأصل هذه المسلة وتاريخها العريق ؛ يقول " من زمان من حوالى ٣٥٠٠ عام كان يعيش في مصر ملك عظيم هو : تحتمس الثالث وكان بطلا حربيا .. كون جيشا قويا وأسطولا بحريا ضخما .. واشتهر بانتصاراته الكبري في البر والبحر

١ المرجع السابق صـ٤

٢ المرجع السابق صـ٥

٣ المرجع السابق صـ٩

..... أقام تحنمس الثالث مسلتين في عين شمس (هليوبوليس) بقيت المسلتان في عين شمس حوالى ١٥٠٠ سنة .. حتى جاءت كليوباترا ملكة مصر المشهورة فنقلت المسلتين إلى الإسكندرية ومنذ ذلك الوقت اشتهرت المسلتان باسم مسلتي كليوباترا "[١]. ويستكمل الحديث عن هاتين المسلتين وكيف انتقلتا خارج البلاد ؛ فيسرد قصة المسلة الأولى التى أهدتها مصر إلى بريطانيا واصفا الطريقة الهندسية التى تم من خلالها نقل المسلة عبر البحر إلى بريطانيا ، ثم الصراع الذي واجهته هذه المسلة مع الأمواج حتى تم الإعلان بالفعل عن فقدانها في البحر ؛ " واشتدت العاصفة .. وانقلبت كليوباترا في الماء ..وانكسر صاريها ..وصارع البحارة الأمواج الهائلة .. وحاولوا أن يعيدوا كليوباترا إلى وضعها السليم ... بدون فائدة ... ورأي قائد السفينة " أولجا " الخطر المحيط به ..ففصل السفينتين وترك كليوباترا وسط العاصفة تحت رحمة الأمواج " [٢].

ولم يكن يوم العثور على المسلة في البحر و وصولها إلى لندن يوما عاديا بل كان يوما مشهودا أقيمت فيه الاحتفالات واجتمع الشعب البريطاني ليشهد هذه الحدث العظيم " وفي الساعة الثالثة من يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٨ أقيم الاحتفال النهائي .. وتم وضع مسلة كليوباترا في مكانها الحالي في لندن " [٣].

والكاتب لا ينسى أن يقدم للطفل من وقت لآخر بعض المعلومات الثقافية التى تنمى معرفته " هليوبوليس : معناها مدينة الشمس وسميت بهذا الاسم نسبة إلى معبد الشمس الكبير الذي كان موجودا في مكان (المطرية) حاليا " [٤].

---

١ أحمد نجيب : مسلة كليوباترا القاهرة ط١ ١٩٧٧صـ ٥

٢ المرجع السابق صـ ١٢

٣ المرجع السابق صـ١٤

٤ المرجع السابق صـ٥

ويكتب على ماهرعيد قصة " سنوحي .. الهارب النبيل " وهي قصة قديمة ترجع إلى الأسرة الفرعونية الثانية عشرة وتدور أحداثها حول شخصية سنوحي الشاعر و الأديب وفوق ذلك كان قائدا عسكريا مقربا من الملك امنمحات الأول (الذي ألصقت به تهمة قتل الملك امنمحات فيضطر للهروب إلى فلسطين ويتزوج وينجب ولكنه دائم الحنين إلى مصر فكتب الأشعار التى تعكس ذلك وظل يسعى لإثبات براءته التى تحققت بمساعدة أخو الملك سنوسرت ابن الملك امنمحات)[١].

ومما لا شك فيه أن الهدف الرئيس لتلك القصة تتمثل في التصدي ضد (محاولات تجريف الوعي الوطنى) . على حد تعبير رئيس تحرير المجلة التي نشرت هذا العمل الفنى و الذي يقول على غلاف القصة " وتهدف إلى الحفاظ على التاريخ وتقديم النموذج الذي يحتذي به ، والشحن بالتحدي والإرادة لصناعة مستقبل لا يخجل منه التاريخ " [٢].

ولقد حرص الكاتب أشد الحرص على هذا الهدف الذي خطه رئيس تحرير المجله أثناء سرد قصته ؛ فنجده بين الوقت والآخر يقدم أفكارا ويزرع في نفوس الأطفال أهدافا وقيما متباينة ؛ فلا يكاد يعرض موضوعا حتى يتخلله ببعض النصائح التي تبني جيلا ناضجا ومجتمعا قويا؛ فمثلا أثناء حديثه عن احتفالات المصريين بعيد الفيضان لا يكاد ينتهي من وصف الأحداث حتى نراه يقول " فهكذا هم المصريون يقومون بالأعمال العظيمة مثل الأهرامات المعجزة ، و المعابد الشامخة ، بعمدانها الرخامية ، و القصور العامرة بحدائقها الزاهرة ، و

١ على ماهر عيد :" سنوحي .. الهارب النبيل "الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، المقدمة بتصرف ٢٠٠٦

٢ المرجع السابق صفحة الغلاف

الطرق الممهدة الواسعة، وبناء السفن الكبيرة تحمل البضائع و الجنود ، و القلاع القوية و الحصون المنيعة...."[١]

والحقيقة أن هذا التدخل المباشر من الكاتب . والذي تكرر كثيرا في ثنايا العمل الفني . لم يكن تدخلا مذموما ، ولم يفسد طبيعة السرد ، بل كان طبعيا ينساب انسياب الماء في مجري النهر ، ويمر على القارئ مرور النسيم الرطب في يوم حار ، فضلا عن ذلك لم يتضمن ذلك توجيهات مباشرة ولا تدخلات صارخة تفقد العمل القصصي بهجته . مع احتفاظ النص الأدبي بما يتضمنه من قيم واعتزاز بالوطن و الأجداد ودعوة للعمل الدءوب ومواصلة النجاح الذي حققه القدماء .

وبالرغم من هذا التدخل المباشر في سرد الحدث فالسمة الرئيسة للسرد في هذه القصة ؛ هي السرد من خلال الحوار الخارجي (الديالوج) كالحوار الذي دار بين سنوحي وزوجة الملك:

" . نعم يا مليكتى

ـ أنا زوجة الملك ولست الملكة ، ولهذا السبب يفضلون سنسورت عن ابنى بنتاحور.. وهذا ظلم

. أدرك سنوحي أنه دخل سردابا مظلما .. فصمت منتظرا .

. سألته زوجة الملك : لماذا أنت صامت ؟!

. ماذا أقول يا مليكتى ؟!

. أنت تحب الأمير بنتاحور ؟

. من كل قلبي .

. وتحب له الخير ..

---

١ المرجع السابق صـ١١

. وحق الإله آمون أحب له كل خير .

. الملك صار طاعنا في السن وسيذهب الأفق ويلتحم بالشمس بعد أيام قليلة .

. اضطرب سنوحي وشعر بأن هناك عاصفة اقتلعته من جذوره

فسأل والأمير سنوسرت ؟

. قاطعته قد يلتحق بأبيه إثر حادث ... " [1].

وهكذا يكشف الحوار عن مؤامرة تحيكها زوجة الملك لتحصل على الملك لابنها الأمير بنتاحور بديلا عن ابن الملك و الوريث الشرعي سنوسرت . وبالرغم من طول الحوار غير أنه يمثل بؤرة الحدث وبداية الصراع أو- إن شئت فقل . يمثل حبكة القصة وعقدتها . وبفهم هذا الحوار يستطيع المتلقي فهم أحداث القصة .إذن فهذا الحوار لم يكن إطنابا لا منفعة فيه ، ولا يقصد به الحشو وإنما الكشف عن لب المشكلة وعقدة الموضوع ولقد أجاد المؤلف في تبسيط السرد حتى يتسطيع الأطفال فهمه ؛ وبالتالي فهم لب الصراع في العمل الفني .

كذلك استخدم المنولوج وهو حديث داخلي أو . إن شئت فقل . معترك ذاتي يدور في صدر صاحبه ؛ يكشف المؤلف عنه بصورة أو أخري ؛ من ذلك قول المؤلف " الأفكار تتصارع في رأس سنوحي تكاد تفجره . شعر سنوحي أن صدره يكاد يحترق لأن المشاعر تفور متداخلة متماوجة لا تكاد تبين . أطلق سنوحي زفرات كثيرة بسبب الأتون المشتعل في صدره ، النار تجري في عروقه بدلا من الدماء ..... ما العمل يا سنوحي ؟! لا بد من إخبار بنتاحور نفسه .فهو الوحيد الذي يستطيع إبطال هذه المؤامرة الغادرة . "[2].

١ المرجع السابق ، صـ٢٥.٢٦

٢ المرجع السابق ، صـ٢٨

ومما لا شك فيه أن هذا المنولوج يكشف عن الصراع الذي يعيشه بطل العمل الفنى ؛ فهو بين فكي الرحي ؛ حبه وإخلاصه للملك من ناحية ، وخوفه من زوجة الملك من جهة أخري ، إن هذا الصراع يجذب القارئ فيجعله مشاركا مع البطل يعيش أحاسيسه ويعاني مشكلته بل وتجعله في ترقب للبطل لمعرفة كيف يصنع للخروج من هذه الأزمة .

والكاتب لم يكن سرده جافا بل يكاد في بعض اللحظات يقترب من الفكاهة دون أن يجعلها واضحة فقط يلمح لبعض التصرفات التى قد تجعل القارئ يميل لأن يبتسم دون وجود فجاجة كوميدية تخرج القارئ من النص ، من ذلك قوله : " فرغ الحلاق من قص شعر سنوحي ، وأخذ بطة سمينة ثمنا لذلك . طلب سنوحي من خادمه هوف أن يسخن له ماء في الدست الكبير على الفرن الفخاري المستطيل الموجود في الحجرة الخلفية ، بعد أن فرغ سنوحي من الاستحمام . طيب نفسه بالعطور الفواحة ، ووضع قلادة الشجاعة حول رقبته ..." [١].

فضلا عن ذلك فقد ترك الكاتب للوصف مجالا واسعا في كتابته فلا تكاد تخلو كل بداية حدث من وصف غير قصير ؛ يسمح الكاتب للقارئ من خلاله أن يتنفس الصعداء فتهدأ أعصابه بعض الشيء ، ويستجمع قواه بتلك اللوحات الجميلة التي يرسمها وكأنه فواصل بين الحدث والآخر؛ فلا يمل القارئ من سير الأحداث ؛ يقول المؤلف في بداية الحديث عن هروب سنوحي " الإحساس بالمطاردة ألهبت مشاعره بسياط من الخوف ، وكأن الحصان شعر بأحاسيس سنوحي فتلاحقت خطواته السريعة كالعاصفة المجنونة . وصل سنوحي إلى الشاطيء ، ونزل من على حصانه ، ربت عليه ومسح على شعره ممتنا ، هز

١ المرجع السابق ، صـ١٨

الحصان رأسه كأنه يرد الشكر"[1]. ولعل اختلاط الخيال بالوصف وامتزاجهما معا في سياق متصل وانصهارهما في بوتقة واحدة كانا السبب الرئيس في انسيابية السرد وعدم الإحساس بأي خروج عن السياق ، فضلا عن توافق الوصف مع الحالة النفسية و اتحاده مع مضمون النص ، مما جعل هذه الوصف داعما للنص وأداة من أدوات إتمام المعنى .

وإذا كانت القصة السابقة تلقي الضوء على علاقة المثقف مع السلطة أو. إن شئت فقل . إسقاطا على واقع علاقة المثقف بالسلطة مع رسم كيفية تنظيم هذه العلاقة ؛ والدعوة لضرورة تواجده بالقرب من السلطة ؛ فقصة " خونانوب الفلاح الفصيح " تعكس الحرية التي سمح بها فرعون هذه الأسرة الحاكمة لشعبة وكيف أنه ترك مجال الحرية مفتوحا ليحصل كل على حقه ، فكانت النتيجة وجود نتاج أدبي وازدهار ثقافي في تلك المرحلة من تاريخ مصر ؛ حيث خلفت هذه الحرية تسع شكاوى في غاية الإبداع من الفلاح الفصيح إلى فرعون هذه الأسرة ؛ يقول المؤلف " ورغم حالة الترهل السياسي و الاقتصادي في فترة الأسرتين التاسعة و العاشرة إلا أن أكبر إنجازاتهما يكمن في تلك الأعمال الأدبية الرائعة و التي تأتي من شكاوى الفلاح الفصيح بما تعبر عنه من حرية على قمتها وقد ضمنت هذه الحرية الخلود لهذه الفترة رغم ترهلها السياسي وقد حرصنا في هذه الرواية على نشر ملخصات وافية للشكاوي التسع و التي توجد نصوصها كاملة في العديد من كتب التاريخ التي تتعرض للحضارة المصرية القديمة وفي مقدمتها كتب د . سليم حسن " [2]. وبالرغم من كوني باحثا في أدب الطفل وينبغي أن أعالج قصة المؤلف بالبحث و الدراسة غير أن نصوص

---

١ المرجع السابق صـ٣٣

٢ منتصر ثابت : خونانوب الفلاح الفصيح ،القاهرة روايات الهلال ، سلسلة تاريخ مصر صـ ٦ ، ٧

شكوى الفلاح الفصيح أعجبتني بما تضمنته من إبداع أدبي ، فما كان لى أن أتجاوزها دون أن أقف عند بعضها بالنظر و الدراسة ، ولعل أول شكوى كتبها الفلاح الفصيح وقد استوقفت الأمير والملك آنذاك ليست بعاجزة أن تستوقفني من روعتها ؛ يقول الفلاح الفصيح في شكواه :

" إنك أب لليتيم
وزوج للأرملة
وثوب الذي لا أم له
دعني أجعل اسمك في هذه الأرض
فوق كل قانون عادل
إني أتكلم فهل لك أن تسمع
أقم العدل .. اكشف عني الضر
انظر إلي إن حملي ثقيل " [١]

حينما عرض الأمير هذه الشكوي على الملك ظن الملك أنها لشاعر جديد وطلب ضمه للقصر؛ فما إن أخبره الأمير أنها شكوى من مجرد فلاح ، عرف أن هذا الإلهام مصدره الظلم، وهنا فكر الملك قليلا ثم طلب من الأمير عدم الرد على الفلاح حتى يأذن الملك له ؛ وذلك أن الملك أراد أن يتركه فترة يعيش فيها قسوة الظلم لتنصهر قريحته فيزداد إبداعا ، وبالفعل حينما استبطأ الفلاح الفصيح رد الأمير كتب الشكوي في إثر الأخري حتى وصل مجموعها تسعا من الشكاوي تزخر جميعا بالإبداع .

وهنا يقع الأمير في حيرة نتيجة جهله بمراد الملك ونيته اتجاه الفلاح ، لقد أدرك الأمير أن الحق في جانب الفلاح الفصيح ولقد دأبت نفسه على الحكم

١ المرجع السابق صـ ٢٤

بالعدل فلماذا يكبل الملك يديه ؟! ويطلب منه التباطؤ في الرد على شكوى الفلاح! ؛ يقول المؤلف واصفا حال الأمير : " لم ينم رينسي بن ميرو . أول مرة يواجه هذا الموقف ، الحق واضح بين ، والظلم صارخ مؤلم . لقد عاش عمره كله يحكم بالعدل ويعيد الحق ، يقتص من الظالم وينصف المظلوم . لكنه هذه المرة يشعر أن يديه مكبلتان لا تستطيعان شيئا . أى موقف وضعه فيه الملك ؟ ! " [١].

يتضح من النص الأخير بساطة أسلوب المؤلف ، وقدرته على نقل القلق والاضطراب الذي يعيشه الأمير من خلال استخدامه الطباق بين بعض الكلمات (الظالم و المظلوم) و (الحق والظلم)، كما استخدم الخيال في دعم وصف هذا الاضطراب الذي يعيشه الأمير وذلك في قوله (يشعر أن يديه مكبلتان لا تستطيعان شيئا) . والمؤلف في كل الأحوال يريد الانتصار لفكرة رئيسة زين بها آخر صفحة في عمله الفني " الحرية أساس التعبير "وبهذا يمكن القول بأن هذه القصة تعلى من الاعتزاز بالتاريخ المصري و تدعم الافتخار بما تضمنه هذا التاريخ العظيم من دعم للحريات وتجلى الإبداع ، وفوق ذلك تمثل القصة إسقاطا واقعيا يصف كثيرا من المجتمعات في عصرنا الحالي. [٢]

ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن نغلق هذا المبحث دون التطرق لجهود الشاعر محمد الهراوي ؛ الذي وثق شعرا في ديوانه أنباء الرسل حادثتين من أهم الحوادث في مصر الفرعونية هما قصة سيدنا يوسف مع فرعون مصر الذي ملك مصر في عهده ، وقصة سيدنا موسي مع فرعون مصر آنذاك. وتتبع أهميتهما من ورودهما بالقرآن الكريم مما يؤكد صدق الأحداث هذا من ناحية ومن ناحية

١ المرجع السابق صـ ٢٩ ،٣٠

٢ المرجع السابق صفحة الغلاف

أخري تؤكد القصتان أن الله . عز وجل . قد حبا مصر وبعث فيها رسلا وأنبياء من أجل إعلاء كلمة التوحيد .

أولا . قصة يوسف عليه السلام :

ابتدأ محمد الهراوي قصته بالحديث عن مولد سيدنا يوسف . عليه السلام . وعن جماله وحب والديه له مما جعل الحقد يدب في نفوس إخوته ضده . ثم عرض الشاعر للحلم الذي رآه يوسف . عليه السلام . ونصيحة أبيه له ثم إلقائه في الجب . وهنا يبدأ سيدنا يوسف يخطو أولى خطواته نحو مصر حيث جاءت قافلة تشتريه من الجب وتبيعه في مصر ؛ يقول الشاعر :

فأقبلتْ سيارةٌ ... للماءِ تسْتقيهِ
وأرْسلوا واردهمْ ... للْجبِّ يستقصيه
وحين أدلى دلوهُ ... رأى فتى يَسْبيهِ
فقال: يا بشرى به ... بِضاعةٌ نُزجيه
ثم أتوْا مصْرَ به ... لسيِّد يبغيه
وكان فيه زاهداً ... مَنْ جاءَ يَشْتريهِ[1]

وأول ملاحظة يمكن إدراكها أن معظم الكلمات التي استخدمها الشاعر في الأبيات الشعرية السابقة مأخوذة بنصها من النص القرآني ؛ وبالنظر إلى النص القرآني ؛ يقول . عز وجل . : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾. [2]فلو أردنا أن نستخرج من الأبيات الشعرية السابقة الكلمات المستوحاة بنفس اللفظ من القرآن الكريم نجدها كالآتي (سيارة . أرسلوا . واردهم . أدلى . دلوه . قال . يا بشرى .

١ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل دار المحفوظات دط ، دت صـ ٢٩

٢ سورة يوسف آية رقم١٩

بضاعة .) وهذا يؤكد حرص الشاعر على تقديم المعاني والألفاظ القرآنية للطفل في لغة بسيطة حتى يتعود قراءتها وتسهل لديه . ولا عجب في ذلك فالشاعر استخدم لغة فصحى بسيطة " في غير تعقيد استهدف بث القيم العربية الإسلامية الموروثة إلى نفوس الصغار "[1] ولذلك يرى الزركلي في الأعلام : أن محمد الهراوي اتسم " بنوع من النظم السهل ، ابتكره للأطفال يحفظونه ويتناشدونه في مدارسهم وبيوتهم "[2] ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن قربه من عزيز مصر ثم سجنه ؛ يقول الشاعر :

ونُبِّـــئ العزيـــزُ فاسْـــ ـــــتدعاهُ يصـــــطفيهِ
قـــال : عســـى ينفعنـــا فـــي عمـــلٍ يأتيـــهِ
وشَـــبَّ فـــي جمالـــهِ مُنقطـــعَ الشَّبيـــه
واتَّهمـــوا ولـــم يكـــنْ فـــي خُلـــقِ السَّـــفيهِ
فأدخـــل السّـــجنَ علـــى بـــراءة النزيـــهِ[3]

لم يشأ الشاعر ذكر سبب الاتهام ؛ إما سيرا على منهجه في الاختصار وعدم الإطناب ؛ أوترفعا عن ذكر الأحداث . وبعد هذه الأبيات يسرد الشاعر الرؤيا التي رآها فرعون واستدعاءه يوسف عليه السلام لتأويلها ؛ يقول الشاعر :

يوســـفُ نبِّئنـــى وإنَّ الـــرأيَ مـــا تبْديـــهِ
فـــي بقـــراتٍ سبْعـــةٍ مِـــنْ سِـــمَنٍ فـــي تيـــهِ
يـــأكلُهُنَّ سَبْعـــةٌ مـــن العجـــافِ الشُّـــوهِ
وسُـــنْبلاتٍ سبْعـــةٍ بالحَـــبِّ لا أُحْصـــيه

---

١ أحمد زلط : أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي دار المعارف القاهرة ١٩٩٤صـ ٨٦

٢ خير الدين الزركلي : الأعلام مجلد ٦ صـ ١٠٦

٣ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل ؛ مرجع سابق صـ ٣٠

وأخريـــــــاتٍ يبســـــــتْ والحـــــــبُّ لا أُلفيـــــــهِ
فقـــــال : ســـــبْعُ حِجـــــجٍ محصـــــولُها تُوفِـــــيه
يَعْقـــــبُهنَّ سبْعـــــةٌ تـــــأتي علـــــى مـــــا فيـــــه[1]

والحقيقة أن ميل الهراوي للإيجاز جعل في المقطوعة الشعرية السابقة قليلا من الغموض والصعوبة على الأطفال ، وكأنه يحكى قصة قد سبقت معرفة المتلقين بها وهذا أمر غير جائز، وكان من الأولي أن يطيل ويبسط اللفظ حتى تفهم الأطفال الحدث ، ويتضح الحل الذي قدمه سيدنا يوسف لفرعون ولمصر .ولا سيما أن هذا التأويل قد انعكس بشكل واضح على مجريات الأحداث . ومما يؤخذ على الشاعر أيضا في سرده لقصة يوسف . عليه السلام . مع فرعون مصر أنه لم يأت بذكر التوحيد الذي دعا له سيدنا يوسف ولا اتباع مصر لهذا الدين الذي جاء به يوسف . عليه السلام . وتركهم لعبادة الأصنام . وما جاء في نهاية الأبيات كان مجرد دعاء وشكر من النبي يوسف . عليه السلام . إلى الله . عز وجل . دون التطرق لحيثيات الدعوة و التوحيد .

القصة الثانية . قصة موسي . عليه السلام . مع فرعون مصر :

بالرغم من أن الهراوي في هذه القصة كان أكثر إطنابا من القصة السالفة؛ فإنه تجاهل بعض الأحداث المهمة التى بوجودها يزول اللبس ، فمثلا لم يذكر الشاعر طبيعة الشر الذي يحيط بمولده . عليه السلام . والذي دفع أمه لوضعه في التابوت وتلقيه في اليم فقط قال الشاعر بسبب الشر ؛ يقول الشاعر:

قـــــد ولدتـــــه أمـــــه فـــــي خُفْيـــــةٍ وسَتـــــرْ
فـــــآلُ إســـــرائيل كـــــا نـــــوا عُرضـــــةً للشـــــرِّ[2]

١ المرجع السابق صـ ٣١

٢ المرجع السابق صـ ٣٤

والحقيقة أن الهراوي قد أغفل المفارقة الرئيسة في القصة وهي سعي فرعون لقتل أطفال بني إسرائيل ولذلك ولدته أمه سرا ثم وضعته في التابوت باليم ، ثم وصل التابوت بالطفل لفرعون ومن ثم أخذه فرعون في القصر . ولا يقول قائل أن الشاعر يلتزم فقط بما جاء في القرآن الكريم ، لأن هذا السبب ورد في قوله . تعالى . في بداية حديثه . عز وجل . عن قصة موسى . عليه السلام . إذ يقول . تعالى :﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] فالله تعالى قدم السبب المنطقي الذي جعل أم موسي . عليه السلام . أن تضعه في التابوت وترميه في الماء وهو أن فرعون كان يقتل أطفالهم ويستحيي نساءهم ، وهوسبب منطقي تبنى عليه الأحداث ، وبالتالي إغفال الشاعر لهذا السبب في سرده للأحداث جعل ثمة حلقة مفقودة في الأحداث .

غير أنه في اللوحة الثانية يأتى بالمفارقة ويسردها على النحو الآتي :

ومـــــذ رآه عالَـــــهُ فرعـــــونُ ربُّ مصْـــــر
ثـــمّ أتـــي بمرضْـــعٍ تَكْفُلُـــه فـــي القصْـــرِ
فجـــاءه بأمّـــهِ ولـــم يكـــن لِيَـــدْري[2]

١ سورة القصص

٢ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل ، مرجع سابق صـ ٣٥

فالشاعر هنا عرض لمفارقة أن الله ـ عز وجل . أراد جمع الطفل بأمه، فاندفع فرعون للبحث عن مرضعة للطفل فلم يقبل سوى أمه . ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن الرجل الذي وكزه موسي ـ عليه السلام ـ فقضى عليه فاضطر موسي . عليه السلام . للفرار من مصر .وهذا مطابق لحد غير قليل مع ما جاء في القرآن الكريم إذ يقول ـ تعالي ـ : ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ ﴾. [١] ثم يتحدث المؤلف عن دخوله أرض مدين ومن ثم زواجه بابنة شعيب ، ومضيه بزوجه في صحراء سيناء ؛ يقول الشاعر :

ثـــم مضـــى بأهلـــه ... فـــي تيـــهِ سِـــينا الـــوَعرِ
فآنســـوا نـــارا تُضـــيءُ ... باشـــتعالِ الجمْـــرِ
قـــال : امْكثـــوا لَعَلّـــى ... آتـــيكمُ بسِـــرّ [٢]

١ سورة القصص

٢ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل مرجع سابق صـ ٣٦

وهذا مستوحي من قوله تعالـه :﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .[1]

ولا أحبذ الوقوف كثيرا للحديث عما تركه الشاعر من أحداث القصة ومدى مطابقتها للأحداث كما وردت في القرآن الكريم ؛ لأن ما يهم الباحث هو الوقوف عند غياب ركن رئيس من أركان القصة ، أوإغفال المفارقة التي تبنى عليها الأحداث فيما بعد . ثم يتحدث الشاعر في اللوحة الشعرية الجديدة عن مفاجأة عظيمة حدثت لموسى . عليه السلام . ؛ حيث يخاطبه الله . تعالي . ويحمله رسالة إلى فرعون مصر الذي طغى وتكبر ؛ يقول الشاعر :

اذهـــبْ إلـــى فرعـــونَ إنَّـــ ـــــــهُ طغـــــى بِكبْـــــرِ
وقـــــلْ لـــهُ قـــولاً عســـا هُ يَنْثنـــي عـــن كفْـــرِ[2]

وهنا تحدث المواجهة على أرض مصر وفي قصر فرعون إذ يذهب موسى، وأخوه هارون . عليهما السلام . إلى فرعون في قصره ويخاطبانه باللين ويخبرانه أنهما رسولان من الله . تعالى . يقول الشاعر تحت عنوان الرسالة :

فقـــال : يـــا فرعـــون إنـــ ـــــنا رســـــولا خيـــــرِ
جئْنـــــاك بالحـــــقِّ ، وآ يـــــاتِ الهـــــدى و البـــــرِّ
نَهـــــديك لله فـــــإنْ تُطِـــــعْ تَفُـــــزْ بـــــالأجْرِ
فقـــال: ياموســـى وحسْـــ ـــبي منْـــكَ قـــولُ غِـــرِّ

---

١ سورة القصص

٢ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل مرجع سابق صـ ٣٧

بـــالله قـــلْ : ألـــمْ تكـــنْ عِنـــدي ربيـــبَ حجْـــرِ
وقـــدْ لَبثْـــتَ عندنـــا بعْـــضَ أوالـــى العُمْـــرِ[1]

مما لا شك فيه أن معاني هذه الأبيات الشعرية مستوحاة من قوله تعالي في سورة الشـعراء :﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[2]

ومما لاشك فيه أن تنوع مصادر الأديب في كتابة عمله الفني يعكس تلك الثقافة الدينية الواسعة التي يتمتع بها ، كما يعكس المرونة الفكرية والأدبية لينتقل من مصدر إلى مصدر ليخرج بصورة شاملة للحدث ، وتصبح القصة مكتملة الأركان ، وتامة الأحداث .ويستطرد الشاعر في وصف الأحداث ، فينتقل إلى وصف تلك المبارزة بالسحر بين سحرة مصر وبين موسى . عليه السلام . ؛ يقول الشاعر :

ثـــمَّ دعـــا بالسّاحريـــن مـــن جميـــعِ القطْـــرِ
وقـــال : هـــذا رجـــلٌ أتـــى بـــأمرٍ نُكْـــرِ
يُريـــدُ أنْ يخرجكـــمْ مـــن أرضـــكم بالســـحرِ
قـــالوا :ســـيدْري مَـــنْ غـــداْ مَرْجِعُـــهُ للْخُسْـــرِ
فقـــال : نلْتقـــي ضُحًـــى فـــي زينـــةٍ وحشْـــرِ
قـــالوا : فـــألقِ قـــالَ : بـــلْ ألْقـــوا بُـــداءَ الأمْـــرِ
فحوّلـــوا عِصيَّهـــمْ إلـــى أفـــاعٍ تجْـــري

١ المرجع السابق صـ٣٩

٢ سورة الشعراء

فخـــافَ موســـى وبـــدا عليْـــهِ حـــالُ الذّعْـــرِ
لكنَّـــهُ ألقـــى العصـــا فـــي ثقـــةٍ بالنّصْـــرِ
فالتقَفـــتْ مـــا صنعـــوا فـــي لمحـــةٍ مـــن كـــرِّ
فخضـــعوا بـــين يديـــه بانحنـــاء الظّهْـــرِ[1]

الأبيات السابقة ما زالت تؤكد على ثقافة الهراوي الدينية ؛ فلديه المعرفة الكافية بمواقع السور التي تضمنت سرد قصة موسى . عليه السلام . فبعد أن استوحي بعض الأبيات من سورة القصص ثم من سورة الشعراء الآن يستوحي تكملة القصة من سورة طه ؛ و التي تحكي قصة موسي عليه السلام . مع سحرة فرعون وكيف آمنوا لله . تعالى . ؛ يقول . تعالى . في سورة طه :﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[2]

---

١ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل مرجع سابق صـ ٤٠

٢ سورة طه

وهنا يتأكد لنا أيضا سعي الهراوي الدائم لاستخدام معظم الألفاظ القرآنية في أبياته الشعريه كما وردت في النص القرآني ؛ (السّاحرين . يخرجكمْ من أرضكم بالسحرِ . ضُحًى في زينةٍ وحشْرِ . قالَ : بلْ ألْقوا . فالتقَفتْ ما صنعوا) وهكذا يبدو واضحا أن الهراوي لا يسعي لسرد القصة من أجل القصة فحسب بل يؤكد لنا أن ثمة هدفا يحمله على عاتقه وهو تعويد الأطفال وتدريبهم على النص القرآني من خلال الدفع بمفردات القرآن الكريم على مسامعهم . غير أن ثمة أمرا تجاهله الهراوي في الأبيات السابقة ألا وهو أنه لم يذكر الدعم الرباني لموسي بعد أن ألقى السحرة عصيهم ؛ فقال الهراوي :

فحوّلوا عِصيَّهمْ إلى أفاعٍ تجْري
فخافَ موسى وبدا عليْهِ حالُ الذّعْرِ
لكنَّهُ ألقى العصا في ثقةٍ بالنّصْرِ[1]

لم يذكر الهراوي مصدر الثقة التي دفعت موسي . عليه السلام . بمجابهة مخاوفه عندما رآي عصي السحرة تتحول إلى أفاعٍ ؛ لم يقل للأطفال أن ثمة دعما ربانيا قد ألهمه بالثقة ؛ إنها مستمدة من دعم رباني كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[2] لقد خاطبه الله تعالى . قائلا له : لا تخف . إن الأطفال في مثل هذا العمر يحتاجون مثل هذه المعاني التى تقربهم من الله . تعالى . والتي تجعلهم يتمنون أن يكونوا في معية الله . تعالي . . لكن على كل لا يمكن أن نجحد دور الهراوي في سرد المعاني القرآنية وتبسيطها للأطفال .

١ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل مرجع سابق صـ ٤٠ . ٤١

٢ سورة طه

ثم يبدأ الشاعر سرد ما صنعه فرعون وتوعده العذاب للسحرة الذين أسلموا لرب هارون وموسى ؛ يقول الشاعر :

فقـــــال فرعـــــونُ لهـــــمْ أنـــــتمْ رجـــــالُ شـــــرَّ
وإنَّـــــــهُ كبيركـــــــــمْ فـــي السِّـــحْرِ أو فـــي المكْـــرِ
لأصـــــــلبنَّ أجْســـــــامَكمْ مَوْســـــومةً بالبثْـــــــرِ
قـــــالوا : فمـــــا تمْلكُـــــهُ منَّـــــا فـــــبعْضُ العُمْـــــرِ
ولـــــنْ نبيـــــعَ بالهـــــدى مـــــا نبْتغـــــي مـــــن وِزْرِ[1]

فالشاعر في الأبيات السابقة يسرد تهديد فرعون للسحرة بأشد أنواع العذاب؛ الصلب وقطع الأطراف ؛ غير أن الإيمان تمكن من قلوب السحرة فلم يخافوا ولم يرهبوا تهديد فرعون ، وقالوا له لن تنال منا إلا عمرا قليلا و الباقيات خير عند الله . تعالى . ثم يتحدث الشاعر عن غرق فرعون أثناء محاولته قتل موسى ومن معه ؛ يقول الشاعر :

وقـــادَ موســـى قومَـــهُ إلـــى طريـــق البحْـــرِ
وشـــقَّ فيـــه بالعصـــا مَنْجاتُـــه للبـــرِّ
فجـــاءَهُ فِرْعـــونُ فـــي جنْـــدٍ كثيـــفٍ مَجْـــرِ
فـــأطْبقَ البحْـــر عليـــه الشَّـــطْرَ بعـــدَ الشَّـــطرِ[2]

فالشاعر في الأبيات السابقة يصف نهاية فرعون مصر وكيف حاول قتل موسى . عليه السلام . ومن معه ، فكان الحكم الرباني بغرق فرعون مصر في البحر ؛ يقول تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ

---

١ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل مرجع سابق صـ٤٠

٢ المرجع السابق صـ٤١

فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ .[١] فالله تعالى خلد ذكرى فرعون مصر وما حدث له من نهاية مؤلمة ليكون عبرة وعظة لمن يتعظ .

مما سبق يتضح أن مصر الفرعونية كانت نقطة اهتمام الأدباء بل كانت ذات شأن في القرآن الكريم كما ورد من قصتى يوسف وموسى . عليهما السلام . مع فراعنة مصر . وأن التاريخ المصري جدير بأن يكون نقطة افتخار واتصال حضاري للمصريين في وقتنا الحاضر ، فقد كان تاريخا مليئا بالعبر و العظات و المعارك والأفكار ما يجعل منه منبعا خصبا لأدب الطفل وقد استطاع أدباء الطفل من استغلال مساحة كبيرة من التاريخ الفرعوني وتقديمها للأطفال لتوضيح صورة مصر الفرعونية إلى أبعد حد للأطفال وتعريفهم بماضيهم المجيد وتاريخهم العريق .

١ سورة طه

المبحث الثاني

مصر الإسلامية في عيون أدباء الطفل

لم تكن الهوية الإسلامية للمجتمع المصري بغائبة عن بصر كتاب أدب الطفل ؛ فقد تعددت الجوانب التى عكست هذا الملمح في كتاباتهم . ولقد أشعل الفتح الإسلامي لمصرالشرارة الأولى في اهتمام بعض أدباء الطفل ؛ فتوجهت أبصارهم نحو عمرو بن العاص . رضي الله عنه . وجنوده البواسل الذين ذللوا الصعاب وركبوا الأمواج من أجل نقل الدين الإسلامي إلى مصر، ومن بين هؤلاء الأدباء ؛ أحمد نجيب الذي كتب قصته (عروس النيل) وبالرغم من أن هذا العنوان يعد عنوانا مخادعا لأنه يدفع المتلقي للاعتقاد بأن القصة تدور حول عروس النيل، ولكن في الحقيقة تدور أحداث القصة حول الفتح الإسلامي لمصر ؛ حيث سرد الكاتب أحداث الفتح في عشر صفحات من ضمن ثلاث عشرة صفحة للقصة برمتها ؛ أما الصفحات الثلاثة الأخيرة فتحكي قصة يتشكك الكاتب نفسه من صدقها ، بل يرفض صراحة ما يقال عن المصريين من رميهم فتاة في النيل إذا تأخر الفيضان ؛ يقول في ذيل الصفحة الأخيرة من قصته " هذه قصة ولكن القدماء المصريين لم يكونوا يرمون فتاة حية في النيل "[1] وبالعودة للحديث عن الموضوع الرئيس للقصة وهو الفتح الإسلامي لمصر فإن الكاتب قد ركز على عدد من القضايا أهمها :

١. الصعوبات التى تجشمها الجيش الإسلامي لفتح مصر، ولقد تكررت عبارات الكاتب التى تعكس هذه المشقه ؛ فمن ذلك قوله " سار عمرو بجيشه إلى مدينة الفرما وحاصرها شهرا أوشهرين ..العرب عددهم قليل و الروم في داخل

١ أحمد نجيب : عروس النيل ؛ القاهرة ط١ ١٩٧٩ صـ١٣

حصـون المدينـة و السـفن تسـاعدهم مـن ناحيـة البحـر وتقـدم لهـم الطعـام والأسلحة " [١].

٢. اهتمام المؤلف بالتفاصيل ؛ فعند حديثه عن حصار المسلمين لحصن بابليون يتطرق لطوله وارتفاعه وغير ذلك من المعلومات التاريخية ؛ يقول " وحصن بابليون قوي كبير ومساحته شاسعة وارتفاع أسواره حوالي ٢٠ مترا ، والأسوار ضخمة .. سمكها حوالي ٦ أمتار ..واستمر المسلمون يحاصرون جيش الروم في داخل حصن بابليون مدة سبعة أشهر " [٢].

٣. أعطي المؤلف مساحة للحديث عن العلاقة الطيبة بين المسلمين والأقباط ؛ يقول المؤلف " خرج جيش الروم مهزوما من حصن بابليون في يوم عيد الفصح وكان في داخل الحصن مجموعة من المسجونين المسيحيين وحتى آخر يوم من أيام الروم في الحصن كانوا مستمرين في تعذيب المسيحيين .. ولهذا فرح المسيحيون المصريون بانتصار العرب .. وكان البطريرك بنيامين يقول : (إن عهد العرب هو عهد السلامة و الأمان وعهد الروم هو عهد الظلم والطغيان"[٣] ولقد ترددت هذه القضية لدي كثير من أدباء الطفل ؛ ولا عجب في ذلك فالتآلف بين المسلمين والأقباط في مصر يعد من أهم القضايا الدينية التى تعكس واقعا مصريا ، وتعبر عن أهم السمات المصرية . ولقد أحدثت هذه الظاهرة صدى قويا في أدب الطفل فنجد الكاتب عبد التواب يوسف يكتب مجموعته القصصية ؛ (الهلال و الصليب) ويفتتحها ببضعة أبيات للشاعر العظيم بيرم التونسي والتى تتحدث عن علاقة المسلمين بالأقباط ؛ يقول الشاعر :

---

١ المرجع السابق صـ٢

٢ المرجع السابق صـ٨

٣ المرجع السابق صـ٩

من عهد ما القرآن هبط
نزل هنا عمرو وربـط
بيننا وبينكم يا قبـــط
عهود وداد متسجلـه!

قرآن محمد قال لنـــــا
عيسى المسيح روح ربنا
والست مريم ستنـــــا
تنزل في أكبر منزلـه!

.

وكان محمد لك نسيـــب
يا قبطي دون أهل الصليب
أما المقوقس له حبيـــب
محبته متأصلـــــــه!

.

أبويا ناسب بسخروس
واسم خالي جرجيوس
وجد أمي فلتـــاؤوس
وأنا اسمي طه أبو العلا![1]

ويتحدث الكاتب عبد التواب يوسف في الفصل الأول من هذه المجموعة القصصية عن العلاقة بين المسلمين و الأقباط في التاريخ القديم وعن أول شرارة

١ عبد التواب يوسف : الهلال و الصليب مكتبة روز اليوسف القاهرة يناير ١٩٨٠صـ ٤

جمعت بين الإسلام والمصريين ؛ يقول : " هل سألت نفسك : متى وصلت أول كلمة عن الإسلام إلى مصر ؟ ممن كانت هذه الكلمة ومن كان حاملها ؟ ولعلك أيضا تريد أن تعرف من هو أول مسلم نزل مصر وصلي فيها؟ ..إنها قصة تستحق منك أن تقرأها وتعرفها جيدا ..فإليها تمتد جذورك " [١]ثم يمضي المؤلف فى الحديث عن حاطب بن أبي بلتعة الذي حمل رسالة رسول الله . صلي الله عليه وسلم . إلى المقوقس صاحب مصر ، ويتناول في قصته ما دار بينهما من حديث قبل أن يعرض الرسالة على المقوقس الذي رد ردا جميلا على هذه الرسالة وأرسل إلى الرسول . صلي الله عليه وسلم . بالهدايا " عاد حاطب إلى المدينة حاملا كتاب المقوقس عظيم القبط وهديته للرسول .. كان من بينها مارية القبطية التي أعلنت للرسول إسلامها فتزوجها عليه الصلاة و السلام .. وكان ضمن الهدايا إناء مليء بعسل النحل الذي أخذوه من البلدة التي اشتهرت به (بنها العسل) فتذوقه الرسول ودعا له بالبركة . كما أهدى المقوقس الرسول عشرين ثوبا من قماش مصري وقال عليه السلام منها كفنوني " [٢].

ثم يتحدث المؤلف عن عمرو بن العاص . رضي الله عنه . وإنقاذه قسيسا مصريا من الموت على أرض فلسطين " وأثناء نوم القسيس ، خرجت من جحر قريب حية تسعى .. وزحفت تجاه الرجل النائم الغافل عنها .. ولكن عمرو بن العاص لم يكن غافلا فالرجل ينام في حمايته . وتنبه بسرعة لهذه الحية واخرج القوس و السهم وأطلقه في براعة على الحية فأصابها إصابة مباشرة قتلتها على بعد أمتار من القسيس " [٣].

١ المرجع السابق صـ ١٠

٢ المرجع السابق صـ١٣

٣ المرجع السابق صـ١٥

ويمتد حديث المؤلف في سرد موضوع جديد عن قسيس مصري يساعد عمرو بن العاص في فتح مصر وهو الأب بنيامين كبير أساقفة القبط في مصر و الذي فر هاربا من ظلم الرومان ليقود مع أتباعه حركة المقاومة ضدهم سرا : "ويسأل الأب بنيامين نفسه : هل يكون خلاصنا من الرومان على يد العرب والمسلمين ؟! ليت هذا يحدث ، والأب بنيامين لا يكتفي بالتمنى ولكنه أعلن للقبط من أعوانه أن : عاونوا العرب .. ساعدوهم لكي لا يبقي للرومان في مصر دولة " [١].

وفي الفصل الثاني من هذه المجموعة القصصية يتحدث المؤلف عن مجموعة الأحداث التي تكشف عن الترابط الوطني بين المسلمين و الأقباط ؛ ففي نهاية عصر المماليك اشتد الخلاف بين الأمير المملوكي وبطرس السادس بطريرك الأقباط في مصر في هذا الوقت وعندما اشتد الخلاف بينهما احتكما إلى العلماء المسلمين ليفصلوا بينهما : " التقى علماء المسلمين وطرح عليهم النزاع ما بين الأمير و البطريرك . وأغلقوا على أنفسهم أبواب الأزهر الشريف وراحوا يناقشون الأمر في حكمة وعدل وبعقلية علمية متحررة و الناس ينتظرون حكمهم على أحر من الجمر .. هل يعقل أن يقف رجال الأزهر في وجه الأمير ؟ هل يمكن أن يتخلوا عن الأمير ويساندوا البطريرك وخرجوا على الناس ليعلنوا أن البطريرك هو صاحب الحق فيما طلب "[٢]

ومما لا شك فيه أن كثيرا من المعاني الإسلامية التي يعتقد فيها المصريون ، ويدينون بها قد دارت وترددت كثيرا في كتابات أدباء الطفل ؛ فنجد كامل كيلاني يتغنى بفكرة التوحيد في بداية ديوانه الشعري للأطفال ؛ يقول :

١ المرجع السابق صـ١٩

٢ المرجع السابق صـ ٢٦

ذلـك الطـائرُ المفـزعُ ، يلقـى أمْنـه كلمـا تفـزَّع عنـدكْ
أنـت قويـت بالجنـاحين منـه ضـعفه ، فـانبرى يـردد حمـدكْ
ولسـاني بـالقول يعلـن شكـرك وفـؤادي بالصمت يحفظ عهدكْ
فيـك آمالنـا ، ومنـك هـدانا وعليـك اعتمادنـا أنـت وحـدكْ
فأحـب ، يـا خـالق البريـة رِفـدك واهْدِ يارب إلـى الخيرِ عبْـدكْ [١]

أمـا الشـاعر محمـد الهـراوي فقـد كـان لـه بـاع كبيـر فـي سـرد القضـايا الإسـلامية التـي تثيـر الفكـر ؛ وتعـرض لفكـر المصـريين تجـاه بعـض القضـايا الإسلامية ؛ ففي ديوانه أنباء الرسل يتعرض الشاعر لعدد من القضايا الوجودية الغيبية التي طالما تشغل فكر الأطفال عن مقدرة الله . تعالى . وعن الخلق الأول، وعن عدد من الأنبياء من ذلك نشأة الكون حيث يقول :

الله ربُّ الكـــــــــونِ أنشـــــــأه إنشـــــــاءَ
أنشـــأهُ فـــي ســـتَّةِ أيّـــ ـــام بـــه مـــا شـــاء
ســـــبحانه بحكمـــــةٍ قـــدْ نشـــر الضـــياءَ
وإنـــــه بقـــــدرةٍ قـــد رفـــع الســـماء
وفـــي الســـماء كـــوَّرَ الـــ كواكـــبَ الزَّهـــراءَ
وهـــوَ الـــذي قـــد بـــرَأ الـــ أطيـــارَ و الهـــواءَ
ثـــم علـــى العـــرشِ اســـتوى ســـبحانه اســـتواءَ [٢]

ولعل في الأبيات السابقة شفاء لما في صدور الأطفال من أفكار ؛ وجوابا لكثيرمن أسئلة الأطفال حول نشأة الكون و الأرض و السماء ومكان وجوده . سبحانه وتعالى . . ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن آدم وحواء ؛ يقول :

١ كامل كيلاني : ديوان شعر الأطفال القاهرة إعداد ودراسة عبد التواب يوسف صـ٧
٢ محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل ، مرجع سابق صـ٧

أبـــــو البَرايـــــــا آدمٌ	أولُ خلـــــق البشـــــرِ
قـــــدْ خلـــــقَ الله لـــــهُ	حـــــواء مُثْلـــى الصـــورِ
قـــال: اسْـــكنا فـــي جنَّتـــي	بـــينَ الجنـــى و النهـــرِ
ولكمـــــا أن تـــــأكلا	مـــا شـــئتما مـــن ثمـــرِ
وإنَّمـــــا لا تقْـــــربا	واحـــدةً فـــي الشَّجـــرِ
فوسْـــوسَ الشـــيْطانُ حتَّـــ	ـــي خرَجـــا عـــنْ حـــذرِ
وأكـــــلا فهبطـــــا	وتلـــــك أمُّ العبـــــرِ[1]

ويتضح من معنى هذه الأبيات بما لا يدع مجالا للشك وقوع التناص بينها وبين قوله تعالي : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجنّة وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِـئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَـا هَـذِهِ الشَّـجَرَةَ فَتَكُونَـا مِـنَ الْظَّـالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَـا الشَّـيْطَانُ عَنْهَـا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُـونَ * وَالَّـذِينَ كَفَـرُواْ وَكَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَـآ أُولَـئِكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ}[2] فالشاعر استوحي الفكرة من القرآن الكريم ثم عبر عنها بأسلوبه وفي لغة مبسطة للأطفال ؛ وتبسيط المعاني القرآنية وتقديمها للأطفال في قالب فني يسهّل عليهم فهم الآيات القرآنية إذا ما وقعت أمامهم ، فضلا عن ذلك تزيدهم شغفا لمعرفة هذا الماضي العريق ويقبلون على قراءة القرآن الكريم بصورة أكبر .

ولا يتوقف الشاعر عند هذا الحد بل يستمر في سرد تلك القصص الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم فيتحدث عن قابيل وهابيل ، سيدنا نوح

١ المرجع السابق صـ٨

٢ سورة البقرة(٣٥.٣٩).

عليه السلام ، سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وسيدنا سليمان وكثيرمن الرسل والأنبياء حتى محمد . صلي الله عليه وسلم . .

ولم يقف الاهتمام بالفكر الإسلامي عند هذا الحد بل امتد لينال الاهتمام بشخصية الرسول . صلي الله عليه وسلم . فكتب عنه . صلي الله عليه وسلم . كامل كيلاني أول سيرة للأطفال ، وتبعه أحمد نجيب ، وتفنن عبد التواب يوسف، وتنوع في الكتابة عنه . صلي الله عليه وسلم . وكذلك محمد الهراوي و عبد العظيم الشبلي ... وغيرهم كثيرون ..[١] ولعل عرض الشخصيات الإسلامية على جمهور الأطفال مع سرد مواقفهم من أبرز الدلائل على الفكر المصري الإسلامي ؛ ولعل شخصية الصحابة تعد من أبرز الشخصيات التي اهتم بها أدباء الأطفال ، وكذلك سلسة رجال حول الرسول ، وسلسلة أطفال حول الرسول، وغير ذلك من الأدبيات التي كتبت للأطفال من وحي التاريخ الإسلامي ؛ غير أن ما يهمنا هنا ذلك النتاج الأدبي الإسلامي الذي يتعلق بلحظة أو بزمن من تاريخ مصر ومن ذلك ؛ قصة " أرض الله" للمؤلف محمد عبد الحافظ ناصف وهي مستمدة من سيرة الفقيه الديني العز بن عبد السلام " شيخ الإسلام و المسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافع ، القائم بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها " [٢]

وقد جاء في طبقات الشافعي خروج العز بن عبد السلام من موطنه دمشق إلى مصر بعد خلاف دب بينه وبين حاكم دمشق آنذاك " وصل العز بن

١ لمزيد من التفاصيل انظر رسالة الماجستير الخاصة بنا تحت عنوان : السيرة النبوية في أدب الطفل بمصر في العصر الحديث ، كلية الآداب جامعة الأسكندرية ٢٠٠٩

٢ ابن السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحي ج٨ القاهرة ١٩٧١صـ٢٠٩

عبد السلام إلى مصر سنة ٦٣٩هـ، فلقيه في مصر الملك الصالح أيوب، فاستقبله استقبالاً حافلاً، وأكرمه غاية الإكرام والإجلال، وعيّنه في أعلى المناصب في خطابة جامع عمرو بن العاص وقضاء القضاة."[١] و الحقيقة أنه بمقارنة ما جاء في قصة " أرض الله " للمؤلف محمد عبد الحافظ كان متوافقا بدرجة كبيرة مع ما جاء في التاريخ عن العز بن عبد السلام ومواقفه اتجاه السلطه وغير ذلك من الآراء الفقهية التي تبناها العزبن عبد السلام . ولعل موقفه من تحالف صاحب دمشق مع الفرنجة كان السبب الرئيس في مغادرته دمشق إلى مصر ، يقول المؤلف : "

العز : ... (ينادي ويسير رجل وراءه يحمل طبلة) .. ياأهل دمشق ، يا أهل الشام ، من باع للفرنجة أو اشترى آثم ..فكل بيع لهم حرام حرام ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد خان الله ورسوله ولا ذمة له ومهدر دمه وماله مباح ..

الجميع : نعم نعم ، هو الرأي (ينضم إلى الجمع الكثير وتتحول إلى مظاهرة يتقدمها العز حتى المسجد الأموي .. فيخطب فيهم بعد ذلك ، يقترب منه العسكر، يقبضون عليه ، ويضربون الناس فيهربون تاركين الشيخ.. يقتاده الجند إلى السجن .

العز : (بحزن) اللهم انصر دينك وأمتك وأنزل عليهم كسفا من السماء وأعز أولياءك وأذل أعداءك (تظلم خشبة المسرح) (العز وراء قضبان السجن بقعة ضوء عليه) ..تريدونني أن أخيط فمي ، مقابل ماذا ؟! لا شيء يفيد .. فمناصب كل الدنيا زائلة لا تنفع .." [٢]ولعل هذه البداية التي وضعها المؤللف ليبين للمتلقي سبب رحيله عن دمشق من جهة ومن جهة أخري ويقدم لفكرة

١ ابن السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، بتصرف مرجع سابق صـ٢١٠ ، ٢١١

٢ محمد عبد الحافظ ناصف : مختارات مسرحية (مسرحية أرض الله) القاهرة ، الهيئة العامة للكتا ب ٢٠١٨ صـ٥٥

القصة الرئيسة التي تظهر من خلال العنوان (أرض الله) فحينما غضب صاحب دمشق من العز ونفاه خارج دمشق ؛ وحينما سئل أي مكان ترغب الانتقال إليه قال :

"العز : أرض الله واسعة ..هل أقصد مصر ؟ " [١]

وحينما وصل العز بن عبد السلام لمصر ، لم يصل إليها مقهورا أو مغلوبا على أمره ، بل جاء مدافعا عن الحق ، معليا لكلمة الدين الإسلامي ، حتى أنه تصدي للمماليك " ولم يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطان"[٢]وقد سرد المؤلف هذا الحدث التاريخي في مسرحيته حيث يقول :

" النائب : أنت الآن تهدد حياتنا وتقلبها رأسا على عقب ، تجردنا من كل ما نملك ، وتقوض حلما يراود الجميع ، لن نسمح لك يا شيخنا ، سنقوض حلمك الآن .

العز : لا حلم لي ؛ فالأمر لدي سواء .. أحببت أم كرهت .. رضيت أنت وغيرك أم لم ترض يانائب السلطان

النائب : أنت الآن تضع البلاد في حالة من الفوضي ، وتعرض أمنها وأمن الناس للخطر ..من سيحارب عنكم يا شيخنا ساعة الخطر ؟ ومن يستعد الآن لمواجهة التتر و الصليبيين ؟

العز : ولم لا تحاربون وأنتم أحرار ، تملكون أنفسكم ولستم عبيدا ؟

النائب : إما أن تسكت وتسحب فتواك أو ترحل من حيث أتيت ، تعود لتتلظى ثانية بنار حكام الشام "[٣] وهكذا تسببت فتوى الشيخ العز بن عبد السلام

١ المرجع السابق صـ ٥٩

٢ ابن السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق صـ٢١٦

٣ المرجع السابق صـ ٨١، ٨٢

في تصحيح المسار الدينى للمماليك وفي شرعية زواجهم من المصريات الأحرار وكذلك شرعية حكمهم لمصر .. وفوق كل ما سبق فقد امتلأت خزائن مصر بأموال تحريرهم من العبودية في وقت كانت مصر في أشد الاحتياج للمال من أجل الزود عنها وعن العالم الإسلامي هجمات التتار و الصليبيين .

ومازال أدباء الطفل يؤرخون اللحظات الإسلامية الخالدة ولا سيما تلك اللحظات التي لعبت مصر فيها دورا بارزا ، ومن تلك اللحظات انتصار قطز حاكم مصر على التتار في موقعة عين جالوت؛ فيكتب على أحمد باكثير قصة (واإسلاماه) ويعلق الدكتور نجيب الكيلانى على هذه القصة قائلا " واستطاع باكثير أن يصور بعض صفحات التاريخ الإسلامي الخالد ، ويعبر عن نماذجه الفذة في قصته (وا إسلاماه) حينما تعرض الإسلام للغزو الصليبي و التتري ، وحينما اتخذ شخصيات ابن تيمية و العز بن عبد السلام وغيرهما نماذج إنسانية تشبعت بروح العقيدة ، وانتصرت لها وبها " [1]بينما يشير أحد الباحثين إلى عقلية باكثير التي تبحث عن مشروعية القتل الذي يتم بصورة غير قانونية فيما يمكن تسميته بالاغتيالات " غير أن باكثير كثيرا ما يبرر مشروعية هذا الاغتيال ، . وهذا الفعل يتماشى مع فكره وعواطفه فهو يرى في أي عمل يفعله قطز عملا نبيلا يستوجب الثناء عليه ومثال الأول ما فعله قطز بأقطاي (وقد بدا من ظلم أقطاي وبغيه على الناس وفساد أصحابه في البلاد ما يستحل به دمه ويتقرب إلى الله بقتله) "[2]

١ نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ط ٤ ، ١٩٨٥ بيروت ، صـ ١٠٦

٢ عبد الله عمر الخطيب : روايات على أحمد باكثير دراسة في الرؤية و التشكيل ، رسالة ماجستير، إشراف د سمير قطامي ، الأردن ٢٠٠٣ صـ ٤٦

غير أن ما يهمنا هاهنا هو تلك الصفحة المشرقة من تاريخ مصر الإسلامي فتلك المعركة التي انتصر قطز فيها كانت انتصارا للإسلام وللمصريين ؛ يقول المؤلف في المقدمة " هذه قصة تجلو صفحة رائعة من صفحات التاريخ المصري في عهد من أخص عهوده وأحفلها بالحوادث الكبري يطل منها القارئ على المجتمع الإسلامي في أهم بلاده من نهر السند إلى نهر النيل وهو يستيقظ من سباته الطويل على صليل سيوف المغيرين عليه من تتار الشرق وصليبي الغرب فيهب للكفاح و الدفاع عن أنفس ما عنده من تراث الدين والدنيا " [١] .

ومما لا شك فيه أن باكثير قدم بالفعل صورة مشرقة لمصر في هذه القصة فنجده يتحدث عن الملك الصالح أيوب ودوره في تجميع المسلمين وفى صد العدوان " وكان الملك الصالح شعلة من النشاط ، لا يهدأ ولا يفتر ولا يستريح من العمل الدائب في توسيع رقعة ملكه ، وتنظيم بلاده وتجميلها ، فقد عمر فيها من الأبنية و القصور و القلاع و الجوامع و المدارس مالم يعمر أحد من سلفه مثله حتى وهنت قوته ، وساءت صحته ، فقرر الانتقال إلى دمشق ليستشفى بهوائها ، عملا بنصيحة أطبائه حتى يبرأ من علته " [٢].

وحينما استغل الصليبيون مرضه وهجموا على مصر ظل الملك الصالح يدافع عن مصر حتى وافته المنية وكان من قبل قد أوصي " زوجته شجرة الدر ومن يثق بهم من رجال الدولة أن يكتموا موته إذا مات لئلا تضطرب قلوب المسلمين وتذهب ريحهم . وأمضي بيده عشرة آلاف إمضاء على ورق خال

١ علي أحمد باكثير : قصة وا إسلاماه مكتبة مصر القاهرة د ت ، دط: المقدمة
٢ المرجع السابق صـ ١٢٦

ليستعان بها في المكاتبات على كتمان موته حتى يقدم ابنه وولي عهده توران شاه " [١].

وهنا يبدأ المؤلف في إبراز أدوار عدد من الشخصيات الإسلامية وعلى رأسهم العزبن عبد السلام الذي سبق وتحدثنا عن دوره في قصة (أرض الله) ؛ فيشير المؤلف لدور الشيخ العزبن عبد السلام في محاربة الصليبيين بالرغم من خلافه مع السلطان آنذاك ؛ يقول المؤلف " وبرز الشيخ ابن عبد السلام من عزلته فتزعم حركة الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، وحض الأمراء على الاستعداد لملاقاة المغيرين ودفعهم خارج البلاد ، ونسي ما بينه وبين السلطان من الخصومة فكتب إليه يسرع بالرجوع إلى مصر لئلا تفتح بلاد المسلمين وسلطانهم لاه باستشفائه وكان مما قاله في كتابه (إن الإسلام في خطر وصحة السلطان في خطر ، والإسلام باق والسلطان فان في الفانين ، فلينظر السلطان أيهما يؤثر) " [٢].

كما ذكر المؤلف أيضا دور العز بن عبد السلام في محاربة الفرنجة بدمشق وغضب صاحب دمشق منه حتى نفاه من دمشق فنزل العزبن عبد السلام مصر ورحب به الملك الصالح وقلده عدة مناصب ؛ يقول المؤلف " كان أنصار الشيخ ابن عبد السلام قد صدعوا بأمره من المضي فيما فرضه الله عليهم من دفع الباطل ، فدأبوا على اغتيال من يقدرون عليه من الفرنج كلما دخل وفد منهم دمشق لشراء الأسلحة ، حتى ضاق صدر الصالح إسماعيل بهم ؛ فكلما قبض على جماعة منهم ظهرت جماعة أخرى . فلما أعياهم أمرهم بعث إلى

١ المرجع السابق صـ ١٢٩

٢ المرجع السابق صـ ١٢٧

الشيخ من يهددونه بالقتل إذا لم يكف أذى جماعته ، فأعرض الشيخ عمن جاءوه، ولم يزد في جوابه لهم إلا أن قال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟!)"[١].

وحينما نزل العز بن عبد السلام مصرا " أكرمه الملك الصالح أيوب وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص ، وقلده قضاء مصر و الوجه القبلي ، فوجد الشيخ مجالا كبيرا للعمل . وأخذ يحث الصالح أيوب عن كثب على التعجيل بقتال الصالح إسماعيل وأحلافه الصليبيين " .[٢]

ويشير المؤلف إلى فتوى العز بن عبد السلام العظيمة التي جاءت في وقت من أشد الأوقات خطورة على الإسلام ومصر ، حينما بدأ التتار بمهاجمة الشام واقترابهم من حدود مصر ؛ فأراد قطز أن يأخذ ضريبة من الشعب ليصرف به على تجهيز الجيش غير أن العز بن عبد السلام كان له رأي آخر " وكانت الفتيا صريحة في وجوب أخذ أموال الأمراء وأملاكهم حتى يساووا العامة في ملابسهم ونفقاتهم ، فحينئذ يجوز الأخذ من أموال العامة ، أما قبل ذلك فلا يجوز" [٣]ولا شك أن مثل هذه الفتوى في مثل هذا التوقيت كانت كافية بأن تحدث صراعا داخليا بين الأمراء ولكن العز ابن عبد السلام تشبث بها ورأى أنها العدل واقتنع قطز بها وطبقها .ولعل هذه الفتوى كانت سببا من أسباب النصر ضد التتار .

ثم يبدأ المؤلف حثيثا بإبراز دور قطز ؛ فما إن يقف الملك الصالح أيوب بجيشه المصري إزاء جيش الصالح إسماعيل صاحب الشام بمن معه من الفرنجة وكادت الهزيمة تلحق بالمصريين حتى يرتفع صوت " من صفوف الشاميين بين القلب و الميسرة : (يا أهل الشام حي على النصر ، حي على الشرف) فما

١ المرجع السابق صـ ١٠٧

٢ المرجع السابق صـ ١٠٧

٣ المرجع السابق صـ ١٧٢

شك عساكر الشام أنه يحرضهم على قتال المصريين ، فتحمسوا له ، وإذا بالصوت يرتفع ثانية (يا أهل الشام : توبوا إلى الله ، انحازوا إلى إخوانكم المسلمين فقاتلوا جميعا أعداء الله وأعداء الشام ومصر ، قاتلوا الصليبيين ، ولم يكد قطز يتم كلمته حتى مرق من صفوف الشاميين وتبعته جماعته إلى صفوف المصريين ، فما لبث الشاميون أن تسللوا من الميسرة و القلب وانحازوا إلى المصريين حتى لم يبق مع الملك الصالح إسماعيل إلا شراذم قليلة من حثالة جيشه ." [1].

ثم يتحدث المؤلف بعد ذلك عن فضل قطز في تخليص مصر و المصريين من أقطاي " قبض الملك المعز في صباح اليوم الثاني على من بقي من جماعة أقطاي من المماليك البحرية ، فقتل رؤساءهم الذين يخشى منهم وحبس الباقيين ، واستراح الناس من بغيهم وفسادهم ، وظلوا أياما يتذكرون مصرع أقطاي بيد سيف الدين قطز ، وأعجبوا بشجاعة قطز وبطولته ، وعظم في عيونهم ، وأحبوه من ذلك الحين ، وعرف الملك المعز لمملوكه الشجاع الأمين فضله عليه وعلى ملكه ، فزاد في تقريبه وترقيته ، حتى أعتقه وقلده أكبر منصب في الدولة وهو منصب نائب السلطنة ، فلم يزد قطز إلا إخلاصا وتفانيا"[2]. والمؤلف وإن كان يمجد في دور قطز فهو لا ينسى دور مصر على مر التاريخ " ولكن في مصر . مصر التي حمت الإسلام يوم فارسكور ، وهزمت الصليبيين ، وسجنت لويس التاسع في دار ابن لقمان وردته إلى بلاده بخفي حنين . رجلا كأنما أعده جبار السماء للقاء جبار الأرض ! ومن أصلح من جهاد التتار من زوج جلنار الذي كان كل همه في الحياة أن يعيش حتى ينتقم منهم

١ المرجع السابق صـ ١١٢

٢ المرجع السابق صـ ١٥٩

لأسرتهما المجيدة . وهذا حظ نفسه . وحتى ينتصف منهم للإسلام . وهذا حظ دينه وملته . "[١] .

ثم تأتي لحظة معركة عين جالوت التى انتصر المصريون فيها على التتار وأوقفوا زحفهم على العالم الإسلامي ليصف المؤلف دور قطز في المعركة وهو يحارب كقائد وكجندي في الوقت ذاته " وكان الملك المظفر يقاتل قتال المستميت حاسر الرأس ، وقد احمر وجهه وانتفش شعره ، فصار كأنه قطعة من اللهب يعلوها إعصار من الدخان الأسود وكان الناظر إليه ـ وهو يتقدم الصفوف ويضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال فكلما اعوج له سيف التمس له سيف آخر ورمي الأول في وجه العدو ، وكلما جندل بطلا من العدو صاح : الله أكبر . يشفق عليه ولا يشك أنه يتعرض للشهادة ، وأنه عما قليل سيصاب " [٢].

ثم يصف المؤلف تلك اللحظة الحاسمة التي انتصر المسلمون فيها على التتار " وانتهت المعركة وقد تهللت وجوه المسلمين فرحا واستبشارا بما أنعم الله عليهم من هذا النصر الكبير ، وبما غنموا من أموال التتار مما نهبوه وسلبوه من أغني البلاد و المدن التي مروا بها "[٣] ثم يذكر المؤلف خطبة قطز في الجيش وإرجاع الفضل إلى الله . تعالي . . وهكذا سجل باكثير لحظة من أهم لحظات التاريخ الإسلامي و المصري على حد سواء وقدمها في ثوب أدبي وفي لغة بسيطة قريبة من مدارك الأطفال مما جعل وزارة التربية والتعليم تجعلها مقررا دراسيا على في أحد الصفوف الدراسية .

وفي هذا الصدد لابد أن نشير إلى تأثر باكثير بالقرآن الكريم واقتباسه الألفاظ و المعاني والأخيلة وتقديمها للمتلقيين ؛ يقول با كثير بعد انهزام الصليبين

١ المرجع السابق صـ ١٦٦

٢ المرجع السابق صـ ١٩٧

٣ المرجع السابق صـ ٢٠٠

في مصر على أيدي المصريين والمماليك " وما إن انقطع المدد من دمياط عن العدو حتى أذاقهم الله لباس الجوع و الخوف ، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ويخشون الذهاب ، فضاقت بهم أنفسهم وبلغت قلوبهم الحناجر ، فأحرقوا مراكبهم بمثل ما يتقد في نفوسهم من نار الغيظ ، ثم خربوا بيوتهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين ، وقوضوا معسكرهم ورحلوا جميعا يريدون دمياط . وولى أسطولهم فرارا فركب المسلمون أقفيتهم ، واتبعهم الأبطال الذين أنجبتهم أرض مصر ، حتى إذا بلغوا فارسكور لقيهم الموت من أمامهم ، وطلبهم الموت من خلفهم ، وأحاط بهم المسلمون فأعملوا فيهم سيوفهم وأوسعوهم قتلا وأسرا ، فبلغت عدة قتلاهم عشرين ألفا وناهز عدد أسراهم مائة ألف . والتجأ الملك الخاسر إلى تل المنية ؛ منية عبد الله وقال : (سآوي إلى جبل يعصمني من الموت) . قال المسلمون : (لا عاصم اليوم من أمر الله) . وتم بينه وبينهم الأمان فكان من المعتقلين . وقيل يا أرض القتال إبلعي أشلاءك ، ويا سماء الموت أقلعي ، وغيض الدم وقضي الأمر ، واستوت سفينة الإسلام على جودي النصر ، وقيل بعدا للقوم الظالمين " [1].

فالنص السابق يصف المؤلف فيه جلد المصريين في تتبع الأعداء حتى ألحقوا بهم الهزيمة النكراء كما يصف فرحة المسلمين بانتصارهم على الأعداء وفوق ذلك يسرد فزع الأعداء مما لاقوه من المصريين والمؤلف في كل هذا لا يدع موقفا إلا واستلهم لفظا أو معنى أو آية بنصها في سياق وصفه . ولا تقف ثقافة باكثير عند هذا الحد بل تمتد ليستشهد أبيات شعرية للشاعر ابن مطروح الذي يوثق و يفتخر فيها بأسر لويس التاسع ؛ والذي يقول فيها :

أتيت مصر تبتغي ملكها تحسبُ أنّ الزّمر يا طبْلُ ريح

١ المرجع السابق صـ ١٣٥

فســاقكَ الحــين إلــى أدهـــم ضـاق بـه عن ناظريـك الفسـيح

وكـــلّ أصْـــحابك أوْدعتَهـــم بحسْـنِ تـدبيرك بطـن الضّـريح

دار ابــن لقمــان علــى حالهــا والقيد بـاق و الطواشـي صبيح[1]

ويبدو أن هذه المرحلة قد لاقت اهتمام الأدباء أو . إن شئت فقل . سيطرت على أدباء الأطفال وأخذت بنواصيهم ، فلم تزل تلك الفترة الزمنية من تاريخ مصر تلقي ظلالها في أدب الطفل حتى نجد المؤلف محمد سعيد العريان يكتب قصة " شجرة الدر " ويبادر في المقدمة ليجيب عن التساؤل : لماذا هذه المرحلة بالذات ؛ يقول : " إنها أول امرأة وآخر امرأة تولت عرش مصر الإسلامية .... وأنها كانت أول مملوكة تجلس على العرش ، فتصير ملكة يدين لها الملايين "[2] ويضيف أيضا " أن عصرها كان مزدحما بالحوادث التاريخية العظيمة ؛ ففي عهدها انكسر الصليبيون كسرة شنيعة ، ..... وفي عهدها كان قد بدأ الزحف المغولي من أواسط أسيا على البلاد الإسلامية للاستيلاء عليها وإذلال أهلها "[3] كما يشير إلى أفضالها ففي عهدها بدأت " عادة تسيير المحمل في كل عام من مصر إلى الحجاز في موسم الحج يحمل كسوة الكعبة كما يحمل كثيرا من المؤن إلى أهل البيت الحرام " ولا يزال المؤلف يعدد فضائلها والأحداث التي دارت في عصرها مما دفعه لتسليط الضوء على حياتها بوصفها فترة تاريخية مهمة في تاريخ مصر .

وبعد أن يسرد المؤلف في مقدمته بعض المعلومات التاريخية التي تذلل ما سوف يأتي من أحداث في ثنايا العمل الفني ، يبدأ المؤلف قصته بهذا الخبر

---

١ المرجع السابق صـ ١٣٧

٢ محمد سعيد العريان : قصة شجرة الدر دط ، دت المقدمة

٣ المرجع السابق : المقدمة

الغامض الذي يجذب الانتباه ، ويجعل المتلقي في شوق لمعرفة الحدث ، ومما لا شك فيه أن للعنوان عمل السحر في جذب الانتباه وهذا ما عمد إليه الكاتب ؛ حيث كان أول عنوان له في أحداث قصته (نبأ من القاهرة) وبهذا العنوان الغامض يضع المؤلف المتلقي في دائرة الترقب لمعرفة هذا الخبر. ولم يكتف العريان بالعنوان فحسب ؛ بل امتد الغموض ليستحوذ علي الفقرة الأولى " أطرق الأمير صامتا، وطوّفت أفكاره تجتاز المسافات وتقطع الأبعاد النائية ؛ فهو في مجلسه من ذلك الحصن الذي اتخذه قاعدة لإمارته في أقصى المشرق ، ولكنه مما يصطرع في رأسه من الخواطر ، وما يتراءى له من صور الماضي القريب والبعيد ، كالتائه في البيداء المترامية ، قد انفسح مداها وتباعد ما بين أطرافها بعد ما بين حصن كيفا و القاهرة . أفمن أجل هذا أخرجه أبوه من مصر، وانتزعه من بين مماليكه وجنده ، وقذف به إلى ذلك المنفي السحيق ؟! "[1] ولقد نجح الكاتب بهذه نوعية من المقدمات في إضفاء الغموض على الأحداث وجذب انتباه القارئ ؛ ودفع القارئ للتساؤل :من الأمير ولماذا أخرجه أبوه أو إجمالا فالسؤال: ما القصة ؟ . وهذا هو المطلوب من الكاتب ومن العمل الفني وإلا صار هذا العمل الفني ضربا من كتب التاريخ و لا ينتسب للفن ولا للأدب .

ثم يبدأ المؤلف في كشف النقاب عن الأحداث رويدا رويدا ، وعن الشخصيات شيئا شيئا؛ ويطالعنا المؤلف بأولي الشخصيات ؛ وهي شخصية نجم الدين بن الملك الكامل صاحب مصر أما النبأ الذي وصله من مصر هو سعي الملك الكامل تولية ابنه الأصغر سيف الدين مصر بدلا من الأخ الأكبر (نجم الدين) . ولم يكن الأخ الأكبر همه الحكم فحسب باعتباره الابن الأكبر وولي العهد الشرعي ، ولكن العودة لمصر كانت الأهم ، والاشتياق لمصر كان الهم

١ المرجع السابق : صـ ١٣

الأكبر للأمير نجم الدين ؛ حتى أن صاحبه الشاعر المشهور بهاء الدين زهير قد شاركه هذا الحنين بقوله :

" إلـى كَـم حَيـاتي بِـالفِراقِ مَريـرَةٌ وَحَتّـامَ طَرفـي لَـيسَ يَلتَـذُّ بِـالغُمضِ
وَكَـم قَـد رَأَت عَينـي بِـلاداً كَثيـرَةً فَلَـم أَرَ فيهـا مايُسِـرُّ وَمـا يُرضـي
وَلَم أَرَ مِصراً مِثلَ مِصرٍ تَروقُني وَلا مِثلَ مافيها مِنَ العَيشِ وَالخَفضِ
وَبَعـدَ بِـلادي فَالبِـــلادُ جَميعُهـــا سَواءٌ فَلا أَختارُ بَعضاً عَلى بَعضِ
إِذا لَم يَكُن في الدارِ لي مَن أُحِبُّهُ فَلا فَرقَ بَينَ الدارِ أَو سائِرَ الأَرضِ" [١]

ثم يبدأ المؤلف تسليط الضوء على قدوم شجرة الدر إلى دمشق وانضمامها إلى جواري الأمير نجم الدين الذي ما لبث أن قربها إلى جواره حتى صارت زوجته وأم ولده ، وقد شاركته همومه ولا سيما فكرة إزاحته من عرش مصر وتولية أخيه الأصغر مكانه . فحينما علم نجم الدين بموت أبيه وسطوة أخيه الأصغر على عرش مصر ، بدأ نجم الدين وزوجته شجرة الدر الزحف إلى مصر ليستخلص الحكم لنفسه ولكنهم وهم في الطريق " كمينا كان قد أعده بدر الدين لؤلؤ عند سنجار قد برز فجأة في طريقه ، فتبعثر جنده واقتيد أسيرا إلى قلعة سنجار ، ليس معه إلا زوجه وقليل من صحابته وحيل بينه وبين أمانيه " [٢].

وهنا يفقد نجم الدين الأمل ولكن تظهر هنا بطولة شجرة الدر فطمأنته ، وخاصة أنها لما أحست بالكمين ووقع زوجها بالأسر في قلعة سنجار؛ أرسلت إلى ما تبقي من جند الخوارزمية بعد أن أطاح بهم التتار ، وكانوا يسترزقون

١ المرجع السابق صـ ١٦

٢ المرجع السابق صـ ٣٧

بسيوفهم " قد جاءهم كتاب شجرة الدر فلم يسعهم أن يتخلوا عن تقاليد الفروسية المجيدة التي ناشدتهم إياها ، فهبوا لنجدة الأسيرين الكريمين في قلعة سنجار " [١].

واستطاع جند الخوارزمية الانتصار وتخليص نجم الدين من الأسر وساروا في طريقهم إلى مصر وما كادوا يطمئنون من الكمين السابق وتهدأ نفوسهم حتى وقع نجم الدين ثانية في الأسر من قبل زوج أخته الذي أرسل الرسل للملك سيف الدين يطلب حكم دمشق مقابل تسليم أخيه نجم الدين ، وهنا أبرز المؤلف دهاء شجرة الدر حيث تخاطب أخت نجم الدين وتقلب الطاولة رأسا على عقب ، وينضم زوج أخته مع نجم الدين ويحاربون سيف الدين ، وينتصر نجم الدين على أخيه ويصبح الملك الصالح نجم الدين ملكا على مصر . [٢]

وبالرغم من تصاعد الأحداث وحدتها من معارك وقتال هنا وهناك فإن الأديب يعتمد الوصف بين الحين والآخر ، والوصف هنا ليس وصفا عاما بل وصفا خاصا لأنه يسرد وصفا لأشياء بعضها لا يوجد إلا في مصر ؛ كالنيل والأهرامات " وجلست شجرة الدر في شرفة مطلة على النيل من قصر الجزيرة ، فترى النخيل مثقلة بأحمالها تتمايل مع النسيم ولها حفيف يتجاوب ، وشمس الأصيل منبسطة على صفحة الماء في النيل وقد امتدت على شاطئيه المزارع الخضر الناضرة المرصعة مرصعة بألوان الزهر ، و الصحراء الممتدة إلى حيث لا يدرك الطرف غاية ولا نهاية ، قد قامت عليها الأهرام منتصبة شامخة تهزأ بأحداث الزمن " [٣]

ثم تبدأ عقدة القصة وتبلغ القصة أوجها فالملك الصالح نجم الدين زوج شجرة الدر قد مات والحملة الصليبية بقيادة لويس التاسع قد اقتحمت دمياط

١ المرجع السابق صـ ٣٩

٢ المرجع السابق بتصرف صـ ٤٨ ، ٤٩

٣ المرجع السابق صـ ٥٥

وفرت الحامية المصرية من أمامها .غير أن الأمير فخر الدين الذي كان أثيرا ومقربا لدي الملك الصالح أشار على شجرة الدر أن تخفي خبر وفاته وتدير شئون البلاد لئلا يعلم المسلمون بوفاة ملكهم فتوهن عزيمتهم ويتشتت جمعهم ولا سيما و العدو داخل البلاد .غير أن خبر وفاة الملك الصالح نجم الدين ما لبث أن سري في الناس مسرى النار في الهشيم وبلغ الفرنجة فتجرأوا واقتحمت قوة منهم القصر غير أن بيبرس ومن معه من المماليك تصدوا لهم وتم أسر الآلاف وعلى رأسهم الملك لويس التاسع . [١]ويستمر المؤلف في سرد الأحداث ورفض الخليفة العباسي وجودها كملك على المصريين فتزوج من أيبك ثم تقتله عندما علمت برغبته في الزواج من امرأة أخري ثم تموت في النهاية .

وأخيرا فإن هذه الفترة شهدت من الأحداث و المواقع ما جعل أدباء الطفل يكتبون القصة تلو الأخرى ، من أجل إلقاء الضوء على هذه الفترة المهمة من تاريخ مصر الإسلامي .

١ المرجع السابق : بتصرف صـ ٦٦ ، ٦٧، ٧٨

المبحث الثالث

مصر الحديثة في عيون أدباء الطفل

أولا :. الهوية السياسية المصرية :

لم يكن أدب الطفل يوما يعيش منعزلا عن الفكر السياسي بل نكاد نجزم أن أدب الطفل قد خرج علينا وليدا من الفكر السياسي ، ألم تكن حكايات كليلة ودمنة كتابا قصصيا للأطفال يتضمن أفكارا وأبعادا سياسية للمجتمع و الحكام ، فلا عجب من تناول هوية مصر السياسية في أدب الطفل والبصمة التي تركها الفكر السياسي على أدب الطفل . ولما كان النص الأدبي المقدم للأطفال صادرا عن مؤلف يعيش في بيئة يتأثر بها ويحاول التأثير فيها ؛ فإن النصوص الأدبية التي تصدر عنه لابد وأن تحمل هذا الطابع أو . إن شئت فقل . تحمل قسمات من هذا الفكر السياسي .

وإذا بحثنا في تاريخ أدبيات أدب الطفل نجد أن بواكير الكتابة للطفل كانت سياسية؛ وصورت كثيرا من جوانب السياسة المصرية في وقتها ؛ فهذا عبد الله النديم عندما كان مدير مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية، كتب مسرحيتين مشهورتين، هما: «العرب» و«الوطن وطالع التوفيق: " أعلن النديم في مجلته «التنكيت والتبكيت» عن تمثيل مسرحية «الوطن وطالع التوفيق» تحت عنوان «إعلان إلى أبناء وطننا ومحبي التقدم والعمران»: «عزَمنا — والعون على الله تعالى — تمثيل رواية «الوطن وطالع التوفيق» بتياترو زيزينيا وهي الرواية التي جعلتها تذكارًا لجلوس مولانا الخديوي — حفظه الله — فإني صورت فيها حالتنا وما كنا فيه من الذل والإهانة، وما تحملناه من المظالم والمغارم، ثم تخلصت بجلوس مولانا الخديوى ومساعدة وزرائه الكرام على أفكاره الحسنة ومقاصده الخيرية، وما يعانيه رجاله من الاشتغال بحفظ الأمة وصيانة الوطن، وما تنوَّرت به الأفكار حتى اهتدت لفتح الجمعيات التي بها تكثر المعارف وتعود ثروة البلاد. وهي تشخَّص بتلامذة المدرسة ليرى الناظر ما وصل

إليه أبناؤنا من القوة التي بها يقفون في المحافل العظيمة يشخِّصون ما لا يقوم به إلا العظيم من الرجال..."[١] ومن القصائد التي يحفز النديم بها النفوس مخاطبا وناصحا الخديوي توفيق إقصاء الوزراء وحاشية السوء التي تعارض الحراك الوطني:

لو أننا مثل أهل الأرض في همم ... ما قام ينـدبنا أحيا مغنينا

... ...

قل للنفوس التي ماتت بلا أجل ... أين القلوب التي كانت تجارينا؟

أين الشيوخ الألى ساروا وسيرتهم ... مسك ذكى يباهي مسك دارينا

نمشي حفاةً على شوك القتاد فلا ... يؤذي النفوس وكان الخزُّ يؤذينا

أستودع الله قومًا كان طبعهم ... يبدي لك الحالتين: البأس واللينا

شدُّوا الجيادَ وجابوا كل باديةٍ ... كي يعمروها فعمُّوا الأرض تمدينا

وسَيَّروا الحق في الآفاق أجمعها ... فاستحسنتهم ونادتهم سلاطينا

واستخلفونا فكنا شر من ورثوا ... إذ لم نحافظ على ملكٍ بأيدينا

ماذا ترى في إناس لو تقربهم ... إلى العلا بعدوا مما يرقينا

ما خالفوك ولكن خالفوا شرقًا ... لم يعرفوا قدره ممن يولينا

فاجمع من القوم من ترضى خلائقه ... واجعل لكل من الأعضا قوانينا

وشدد الأمر حتى لا يضيع سدًى ... واجعل زمامك فيه العدل واللينا

وطهِّرِ القُطر ممن طبعه شَرِهٌ ... وخائن يحرق المأوى ويشوينا

وكن لأهل الوفا حصنًا وملتجأ ... وكن لأهل الهوى سيفًا وسكِّينا[٢]

١ عبدالله النديم : مجلة «التنكيت والتبكيت»، عدد ٦، ١٨٨١/٧/١٧، ص ٨٧.. ٨٨

٢ المرجع السابق عدد ٩، ١٨٨١/٨/٧، ص١٣٧

ويعالج الكاتب صلاح شعير في مجموعته القصصية (مملكة الأسود) القضية السابقة ؛ حيث يتناول فكرة سوء اختيار الملوك لمعاونيهم ؛ فالأسد الملك يريد أن يقصي الوارث الحقيقي من منصبه ليذلل الملك لابنه أسامة من بعده ، وبالرغم من رفض زوجة الملك غير أن الملك أصر وأخذ يدبر المكائد التى انتهت بدمار المملكة :

" الملكة : لكني أحذرك من خطورة هذا الأمر على ابننا أسامة فنحن سلالة معشر الأسود الإفريقية في صراع مستمر على الحكم مع فصيلة الأسود الأسيوية ، وحسب ميثاق الغابة فإن الحكم يؤول لولى العهد ضرغام زعيم الأسود الأسيوية .

الملك بعناد : أعلم أن ولى العهد ضرغام عنيد و ماكر ولن يوافق بسهولة"[1]

وحول نفس المعنى السابق يدور أحمد شوقي في قصيدة " الأسد ووزيره الحمار "حيث يعكس فساد بلاط القصر وفشله في توظيف الكفاءات وعدم قدرتهم على اختيار المساعدين الأكفاء مما يؤدي لانهيار الحكم يقول :

اللَيــــثُ مَلــــكُ القِفــــــارِ وَمــــا تَضُــــمُّ الصَــــحاري

سَــــعَت إِلَيــــهِ الرَعايــــا ومــــاً بِكُــــلِّ اِنكِســــارِ

قالَــــت تَعــــيشُ وَتَبقــــى يــــا دامِــــيَ الأَظفــــارِ

مــــاتَ الــــوَزيرُ فَمَــــن ذا يَســــوسُ أَمــــرَ الضَــــواري

قــــالَ الحِمــــارُ وَزيــــري قَضــــى بِهَــــذا اِختِيــــاري

فَاِستَضــــحَكَت ثُــــمَّ قالَــــت مــــاذا رَأى فــــي الحِمــــارِ

---

١ صلاح شعير : مسرحية مملكة الأسود ، الجيزة مؤسسة يسطرون للطباعة و النشر صـ ٩ عام ٢٠١٤

وَخَلَّفَتـــــــهُ وَطـــــــارَت ... بِمُضـــــــحِكِ الأَخبـــــــارِ
حَتّـــى إِذا الشَهـــرُ وَلّـــى ... كَلَيلَـــــــةٍ أَو نَهـــــــارِ
لَـــم يَشـــعُرِ اللَـــيثُ إِلّا ... وَمُلكُـــهُ فـــي دَمـــارِ
القِـــردُ عِنـــدَ اليَميـــنِ ... وَالكَلـــبُ عِنـــدَ اليَســـارِ
وَالقِـــطُّ بَـــينَ يَدَيـــهِ ... يلهـــو بِعَظمَـــةِ فـــارِ
فَقـــالَ مَـــن فـــي جُـــدودي ... مِثلـــي عَـــديمُ الوَقـــارِ
أَيـــنَ اِقتِـــداري وَبَطشـــي ... وَهَيبَتـــي وَاِعتِبـــاري
فَجـــاءَهُ القِـــردُ سِـــرّاً ... وَقـــالَ بَعـــدَ اِعتِـــذارِ
يـــا عـــالِيَ الجـــاهِ فينـــا ... كُـــن عـــالِيَ الأَنظـــارِ
رَأيُ الرَعِيَّـــــةِ فيكُـــــم ... مِـــن رَأيِكُـــم فـــي الحِمـــارِ[1]

ويري عبد التواب يوسف أن الرموز السياسية التي استخدمها شوقي في شعره " واضحة جلية ، لا تحتاج إلى كثير من الذكاء لكي يدركها القارئ العادي ..ففي حكايته (الديك الهندي والدجاج البلدي) قصد شوقي أن ينبه المواطنين إلى تسلل الاستعمار إلى بلادهم وسيطرته على كل مقدراتهم "[2].يقول شوقي :

بينـا ضـعافٌ مـن دجـاج الريـفِ ... تخطـرُ فـي بيـتٍ لهـا طريـفِ
إذا جاءهـا هنـدي كبيـرُ العـرفِ ... فقـام فـي البـابِ قيـامَ الضيـف
يقـولُ: حيَّـا اللهُ ذي الوجوهـا ... ولا أراهـــا أبـــداً مكروهـــا
أتيـتكم أنشـرُ فـيكم فضلـي ... يومـاً، وأقضـي بيـنكم بالعـدلِ
وكـلُّ مـا عنـدكمُ حـرامُ ... علـيّ، إلا المـاءُ، والمنـامُ

١ احمد شوقي : المختار من ديوان شوقي للأطفال ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ ٨٩ سنة ٢٠٠٢

٢ المرجع السابق صـ ٣٥

فعــاودَ الــدجاجَ داءُ الطيـــشِ وفتحــت للعلــجِ بــابَ العــشِّ
فجــالَ فيــه جولــةَ المليـــكِ يــدعو لكــلِّ فرخــةٍ وديـــكِ
وبــاتَ تلــكَ الليلــةَ السعيـــدهْ ممتَّعــاً بـــدارهِ الجديـــــدهْ
وباتــتِ الــدجاجُ فــي أمـــانِ تحلـــمُ بالذلـــة والهـــوانِ
حتـــى إذا تهلـــلَ الصبـــاحُ واقتبســتْ مــن نــورهِ الأشــباحُ
صــاحَ بهــا صــاحبها الفصــيحُ يقــولُ: دامَ منزلـــي المليـــحُ
فانتبهــتْ مــن نومهــا المشــئومِ مــذعورةً مــن صــيحةِ الغشــومِ
تقــولُ: مــا تلــكَ الشــروطَ بيننــا غـــدرتنا واللهِ غـــدراً بيِّنـــا
فضــحكَ الهنــديُّ حتــى اســتلقى وقــال: مــا هذا العمــى يــا حمقــى
متـــى ملكـــتمْ ألســـنَ الأربـــابِ قــد كــان هــذا قبــلَ فــتحِ البــابِ[1]

فالـدجاج يقصـد بـه الشـعب المصـري ، و الـديك الهنـدي يقصـد بـه الاستعمار وما فعله الديك الهندي من تذلل للدخول هو طريقة الاستعمار في الدخول إلى البلاد واحتلالها ، ومن يفتح الباب ويسمح له بالدخول هو سذاجة الشعب وعدم استرشادهم بالماضي ، ولن يدركوا ما حدث إلا بعد فوات الوقت :" قد كان هذا قبلَ فتحِ البابِ" .

ومما لا شك فيه أن هذا التناول السياسي للأحداث وتقديمه للأطفال في صورة مبسطة هو وجه من أوجه وجوانب الفكر السياسي المصري أو . إن شئت فقل . الواقع السياسي المصري يسجله الأدباء ويقدمون النصح لجيلهم وأجيال من بعدهم .

وقد يسعي أدباء الطفل نحو تقديم النموذج المشرق للعلاقة الصحيحة بين الحـاكم و المحكـوم وكيـف يتعامـل المجتمـع مـع الظـالم ومـن ذلـك المسـرحية

١ المرجع السابق صـ ٦٧

الشعرية " الصبية و العجوز في مملكة الكنوز " فيتحدث المؤلف منذ بداية العمل الفني عن ظلم الأمير " (أربعة صبية في الرابعة عشر من العمر ، والوقت مساء يجلسون في الهواء خارج البيوت ووجوهم مقطبة حزينة .. ومناظر البيوت من حولهم كالحة وخلفهم القمر في السماء في شكل هلال ، تتخلل كل ذلك موسيقي أغنية مصر تتحدث عن نفسها وعندما يرفع الستار تخفت الموسيقي مع بدء الحوار):

حسان : الجوع يقتل كل يوم ألف طفل

وأمير بلدتنا الغني

يتيه من حفل لحفل

يلغي حقوق المعدمين

مروان : أمير بلدتنا الغني أم الغبي ؟!

هو لا يحب سوى الدراهم و الثراء

عمر : حقا صدقت رمز لكل الأغبياء

وعلى يديه ينال شعب أمتنا البلاء " [١]ويقدم الكاتب صورة إيجابية للفكر السياسي المتقدم فالأطفال لا يلعنون الفقر وهم في مكانهم ولكن بدءوا يفكرون في الخروج من هذه الأزمة ومواجة الظلم :

" **مينا : لابد من عدل يسود ... يا أصدقاء**

حسان بسخرية : وكيف هذا يا أمير الأغبياء ؟!

مينا : كل اتهامك صادق ، فأنا وأنتم أغبياء

إن لم نصد المغتصب

١ جهان سلام : الصبية و العجوز في مملكة الكنوز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥ صـ ٤

حسان : تأخذه الحماسة ويرفع رأسه ويده للسماء مرددا :

الفقر يقتل كل يوم حلمنا

و الجوع كارثة تهدد شعبنا

ماذا بنا ماذا بنا

ياربنا يارب كل المعجزات

ما زالت الأحلام قيد المعجزة

و على الرجال البحث في كل اتجاه

عن العدالة و الثراء

لنرد جوع الجائعين

ونرد ظلم الظالمين " [١]

وتتواصل قضية الجوع و الفقر في عديد من الأعمال الفنية المقدمة للأطفال ؛ ففي مسرحية أبي زيد الهلالي للسيد حافظ يفتتح المؤلف الأحداث بالتأكيد عى نفس القضية ؛ قضية الجوع :

المجموعة: أين أنت يا مولاي حسن بن حسان؟

: أين أنت يا أبا زيد الهلالي؟

: أين أنتم يا أمراء الجزيرة؟

حسن: (يدخل في دائرة الضوء) أنا الملك حسن أحكم قبائل بني هلال بالرأي والحكمة والفهم.

المجموعة: مولانا الملك حسن ... عاش ... عاش ... نحن جوعي[٢].

---

١ المرجع السابق صـ ٦

٢ ([السيد حافظ. "أبو زيد الهلالي". . (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤)،، ص٤

وبالرغم من أن أحداث المسرحية قد سيقت في شبه الجزيرة العربية غير أن الكاتب المصري السيد الحافظ ينقل من خلالها واقعا سياسيا . أو إن شئت فقل . يفتعل إسقاطا سياسيا على الواقع في المجتمع المصري " رسم الكاتب لوحة رائعة من خلال الحوار الذي دار بين مجتمع شبه الجزيرة العربية والملك حسن؛ ليوضح لنا أن الملك حسن هو الذي يحكم قبائل بني هلال بالرأي والمشورة والحكمة وليس بالظلم والقهر ؛ لينمي في الطفل منذ الصغر هذه الفضائل، حيث إنه يأخذ رأي شعبه في قراراته ، ويحتكم إليهم فهو أحب شعبة فأحبه شعبه ، ومن الملاحظ أننا لو قمنا بترسيخ هذه القيم والفضائل المطروحة أمامنا في هذا الحوار سوف نربي الطفل على حسن التصرف ، واحترام آراء الآخرين، ونجد أن الشعب يحب حاكمه ويمدحه ويحترمه ويقدره، ويعرض مشكلته أمام حاكمه وهي مشكلة الجوع." [١]

ولعل هذه العلاقة بين الحاكم و المحكوم هي أساس العمل الفني فالكاتب يريد أن يقدم للطفل النموذج الصحيح للعلاقة السياسية بين الحاكم و المحكوم . كما يؤكد الكاتب على فكرة أن الحاكم يجب ألا يمانع أن يساعده أحد من شعبه للخروج من الأزمة :

" حسن: كفوا عن الكلام الآن .... سنعقد اجتماعاً الآن.

المجموعة: عاش الملك حسن بن حسان.

حسن: أين الأمير دياب بن غانم ... احضروه الآن.

دياب: (يدخل) أنا الأمير دياب بن غانم ... (يرتدي ثياب الفروسية ويحمل سيفه بين يديه) يا ملك البلاد.

---

١ هدى سعيد عبد العليم صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ مجلة بحوث التربية النوعية جامعة المنصورة مجلد يوليو ٢٠١٩ العدد ٥٥ صـ ٢٨٣

المجموعة: هذا الأمير دياب بن غانم.

حسن: أين أبو زيد؟

دياب: أين أبو زيد؟

المجموعة: أين أبو زيد؟

(يدخل أبو زيد على المسرح وقد ركب الحصان. [١]

قالمؤلف يتحدث عن العلاقة التي يجب أن تكون بين الحاكم و المحكوم .

ثانيا :. مصر العروبة :

مصر كانت ولا تزال جزءا من العالم العربي؛ بل . إن شئت فقل . هي التي تحمل همه وقضاياه على عاتقها ؛ لذا لا غرابة أن نجد أصداء العروبة في أدب الطفل ، فيعرض أدب الطفل للقضايا العربية من أجل تقديم المشكلة و البحث عن الحلول ؛ ولعل أبرز القضايا التي تناولها أدباء الطفل قضية التفتت العربي ، كتب السيد حافظ مسرحية أولاد جحا لتمثل إسقاطا سياسيا ؛ يعبر من خلاله عن التشتت والتشرذم اللذين أصابا العالم العربي بعد معاهدة السلام كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ؛ وقد استدعى المؤلف حكاية شعبية " تنتمي إلى حكايات ألف ليلة وليلة ؛ وهي حكاية تيمور لنك والفيل الذي أرسله إلى قرية جحا ليأكل في مراعيها فأكل الأخضر و اليابس . لذلك ثار جميع أهل القرية فانتدبوا جحا كي يكون المتحدث الرسمي باسمهم" [٢].

ويذهب جحا بالفعل إلى تيمور لينك ولكن للأسف يخدعه تيمور لينك ويؤمنه على داره بألا تهدم مقابل سكوته وعدم دفاعه عن أهل قريته :

---

١ ([السيد حافظ. "أبو زيد الهلالي مرجع سابق ص٤.

٢ هدى سعيد عبد العليم : صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ ، مرجع سابق صـ ٢٩١

" المنادي : يا أهل المدينة ..مولانا الخاقان تيمور لنك قابل جحا وأرسله إلى بلاد الهند لشراء ألف فيل جديد ..

إبراهيم : جحا عملها ... جحا عملها

إسماعيل : جحا بعنا لتيمور لنك .. جحا باعنا "[١] غير أن أولاد جحا استطاعوا تغيير سياق الحدث وانضموا لصوت الشعب وانتصروا مع الشعب ضد تيمور لنك وأفياله ، وانتهت القصة بدعوة المؤلف بضرورة التوحد والاصطفاف صفا واحدا في مواجهة الشر المتمثل في تيمور لنك وأفياله .

وكانت تلك القضية واضحة جلية في مسرحية النهر للمؤلف محمد ناصف؛ الذي يتمنى في بداية مسرحيته " أن نكون سطرا مخبوءا وسط سطور الضعف فلا يبرز حقبتنا باحث مجد أوقارئ مدقق للأجداث " [٢]

ويلخص أحد الباحثين موضوع هذه المسرحية حيث إنها " تناقش قضية التفتت والتشرذم العربي الذي يصنعه الغرب في بلادنا العربية ، فالغرب يحاول أن ينشر الشر بين جموع العرب ، ويجعلهم يحقدون على بعضهم البعض ويطمعون في خيرات وثروات جيرانهم من أشقائهم العرب أيضا ، مما يجعلهم يتناحرون ويتقاتلون ويقضون على بعضهم البعض ، وكل هذا في صالح المخطط الغربي ، الذي يمثله المؤلف في هذه المسرحية بشخصيات الشيطان والشر و الطمع . و المؤلف يستخدم الإسقاط السياسي في هذه المسرحية ؛ حيث يرمز من خلال مسرحيته بالعدوان الغاشم الذي شنته العراق على الكويت واستولت عليها ، وكان من نتيجة ذلك أن تفككت الدول العربية .." .[٣]

---

١ السيد حافظ : أولاد جحا دار العربي ١٩٩٦صـ ٧

٢ محمد عبد الحافظ ناصف : مختارات مسرحية مسرحية النهر ؛ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ٢٠١٨ صـ ٢٦٧

٣ هدى سامي نصار : مسرح محمد ناصف .. القصية والبناء الفني مسرحية " النهر " نموذجا إشراف أ م د فرج عمر فرج ، د نهي مندور المجلة العلمية لكلية التربية النوعية ع ٢٥ يناير ٢٠٢١ج١ صـ٩١

ولعل بساطة الألفاظ ووضوح الفكرة كانتا الركيزتين الرئيستين التي اعتمد عليهما المؤلف في كتابة عمله الفني ؛ ويتضح ذلك من قوله على لسان الشيطان: "

الشيطان .. هذه البقعة من الأرض يعمها السلام (بحدة) لا سلام وأنا موجود يا بني البشر ، (بفخر) فأنا شوشو ..مفاوضات ..ها .. ها ..ها .. أين الحقد و الطمع و الجشع و الحسد ؟! لابد أن يساعدوني .. " .[1]فالمؤلف يعرض الفكرة بألفاظ سهلة وبصورة واضحة حتى لا يتشتت الأطفال في فهم المعنى السياسي لهذا العمل المسرحي .

وعلى هذا النحو يسير الكاتب حسام الدين عبد العزيز في مسرحيته جحا أو حماره ؛ حيث تهدف هذه المسرحية " تعريف الأطفال بأطماع العدو الإسرائيلي ، ورغبته في الاستيلاء على الأراضي العربية ، واتباعه لسياسة فرق تسد ، فيسعي إلى التفريق بين أبناء الأمة للوصول إلى أطماعه ، كما تهدف المسرحية إلى تعريف الأطفال بقضية القدس المحتلة ، وتوجيه نظرهم إلى ما يحدث في فلسطين من احتلال إسرائيلي "[2]. ولقد كان الكاتب على وعي تام بالجمهور المقدم لهم هذا العمل الفني ؛ فعمد البساطة و التصريح المباشر في كثير من الأحيان ؛ ففي نهاية المسرحية . وبعد أن حاول الأعداء التفريق بين جحا و حماره للاستيلاء على أملاك جحا . توجه جحا للجمهور مخاطبا إياهم " فما بالكم أنتم بحال العرب إن تفرقوا واختلفوا فيما بينهم .. وما بالكم بمن يفترق

١ السيد حافظ : أولاد جحا مرجع سابق صـ ٢٧٤

٢ ابتسام عبد المنعم محمدحافظ : مسرح الطفل عند حسام الدين عبد العزيز ، الرؤية الفنية و التشكيل الفني رسالة ماجستير تحت إشراف أ م د كمال سعد ، د هدى حسانين . كلية البنات الإسلامية بأسيوط ٢٠١٧ م صـ ١٧٦

عن قدسه وأقصاه .. أخرج من داره بالقوة وطرد من داره بأيد المحتل الصهيوني الإسرائيلي " .[١]

وقد يعمد الأديب إلى التراث العربي العظيم فيقدمه للأطفال ؛ ليبصرهم بماضيهم المشرق ويربط بين أطفال الوطن العربي برباط التاريخ القوي ؛ فيكتب عبد الحميد جوده السحار السلسلة القصصية (العرب في أوربا) ؛ وهي سلسلة قصصية مكونة من أربع وعشرين قصة تبدأ القصة الأولى بالحديث عن الأندلس وبعض القصص المعروفة عنها ثم يتحدث في القصة الثانية عن رؤيا الرسول لأناس من أمته يركبون البحر ، ثم يتحدث عن العرب في فرنسا وصقلية وإيطاليا والمؤلف في ثنايا هذا العمل الفني يقدم في بعض القصص ، بعض الشخصيات العربية التي كان لها من الإقدام و الشجاعة ما يخلد تاريخهم بأحرف من نور ؛ فيتحدث في قصة عن طارق بن زياد ، وقصة أخري عن موسي بن نصير ونهايته في قصة ثالثة ، وهكذا ثم يذكر صقر قريش وعبد الرحمن الناصر وغيرهم من الشخصيات الخالدة التي برز دورها في فتح الأندلس ولا ينسي الشاعر أن يذكر شاعر الأندلس ابن زيدون وقصته مع ولادة ابنة الحاكم ، ثم يسرد أسباب الشقاق التي وقعت بين ملوك العرب في الأندلس والتفرق الذي سادهم و الذي انتهي بسيطرة الأسبان على الأندلس ونهاية الحكم العربي .

أما فلسطين [٢]فلا تزال جرحا نازفا في قلب مصر والأمة العربية برمتها ، وقد تباري الأدباء في معالجة هذه القضية ومن هؤلاء الشعراء أحمد سويلم ؛ الذي كتب ديوانه الشعري (فلسطين عربية) الذي يحمل بين طياته عدة رسائل ؛ من ذلك رسالته في حب فلسطين ؛ حيث يقول :

١ حسام الدين عبد العزيز : مسرحية جحا أو حماره نقلا عن المرجع السابق صـ ٣٠

٢ (للمزيد انظر بحثنا فلسطين في عيون أدباء الطفل)

" فلسطينُ قبلتها في القلوب
وشمس عروبتها لن تغيب
فلسطينُ تاريخها مشرق
يصدُّ العَداةَ ويشقى الغريبُ
فلسطينُ تفديكِ أرواحُنا
فلسطينُ يا دوحة الأمان
ويا نغمًا فوقَ كلِّ لسان
غدا ستعودُ إليكِ الطُّيورُ
تغنِّي ويصْفو إليكِ الزَّمان " [١]

فالشاعر يتغني بحب فلسطين وتمكنه من قلوب كل العرب ، وفي رسالة أخرى لإخوانه يكشف فيها عن ضرورة المداومة بطلب الحق المغتصب ؛ يقول :

" طالب بالحق ولا تيأس
حتى لا يفلت منك
فما ضاع حق بأيدي أصحابه " [٢]

ثم رسالة جديدة للعالم ؛ يطالبه فيها أن يفوق من غيبوبته وأن يدرك خطورة الوضع القائم ؛ يقول " يا عقلاء العالم

أفيقوا من غفوتكم
وقفوا في وجه الباطل
كيف رضيتم بضلال الفكر
وناصرتم هذا الشر " [٣]

---

١ أحمد سويلم : فلسطين عربية رؤية شعرية ، نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٢ صـ ١
٢ المرجع السابق صـ ٤
٣ المرجع السابق صـ ٥

ثم الرسالة الأخيرة التي يفتخر فيها بعروبته ؛ حيث يقول "

عربيٌّ لأبي .. ولأجدادي

عربيٌّ لتراثي .. وتراب الأرض

عربيٌّ لحضارة شعبي

عربيٌّ رغم حصار الأعداء

هذا تاريخُ أمَّةٍ يا أعداءَ الإنسانِ " .[١]

ولا يخفي قيمة التكرار في العمل الفني من إعلاء قيمة المعنى ، وإحداث تلك النغمة الموسيقية في أذن الأطفال المغرمين بطبعهم بالأغاني ؛ فالشاعر يكرر كلمة (عربي) في مطلع كل سطر شعري؛ اعتزازا بقيمة الوطن ورفعة لشأنه في نفس كل عربي .

ومما سبق يتأكد لنا أن مصر تمثل جزءأ لا ينفصل عن العالم العربي ، وقد بدأ ذلك واضحا وجليا في الكتابات المقدمة للأطفال والتي بدورها تضمنت اهتماما ملحوظا بالقضايا العربية .

ثالثا :. الطبيعة المصرية :

مما لا شك فيه أن طبيعة مصر قد فرضت نفسها على كل شاعر تقع عينه على معالم مثل معالم مصر ؛ وقد فرض النيل نفسه على الشعراء وصار سمة بارزة لمصر فبدونه لا تبقي حياة على أرض مصر ؛ فالنيل شريان الحياة لمصر ، فلا غرابة أن نجد الشعراء يتغنون بالنيل وبهذا الجمال الذي يقع في نفس من يراه ؛ ومن الشعراء الذين تغنوا بالنيل في مواطن مختلفة من شعره ؛ رائد أدب الطفل العربي ؛ الأديب كامل كيلاني الذي تحدث عن النيل ووواديه في قوله :

---

١ المرجع السابق صـ ١١

يـا نهـرَ الـوادي نفسـي تهـواكْ قلبـــــــي حيـــــــاكْ
مــن كــل مكــان فكْــري يرْعــاكْ قلبـــي يهْـــوى نجْـــواكْ
فــي التـلِّ العـالي فـوق الوديـانْ أمْشـــــــي حيـــــــرانْ
يـــا صحابـــــي يارفاقـــي بلغـــــوا الســـــــلام [1]

فالشاعر في الأبيات السابقة يصف حال كثير من المصريين إذا أرادوا المشي أو التنزه، فإنهم يختارون الأماكن التي تطل على النيل ، من شدة تعلقهم وحبهم للنيل . وإذا أراد الأديب كامل كيلاني أن يبرز تعلقه بمصر ويعبر عن حبه لوطنه ذكر الشاعر النيل وعطائه ؛ يقول :

سماؤك يـا مصر أصفى سمـاء وأرضــك أرض الغنــا والرخــاء
ونيلـك يـا مصـر جـم العطـاء فمنــه الغـذاء ومنــه الكســاء
علــى ضفتــه نــما مجدنــا ومنــه عرفنــا فنــون الوفــاء
يفيـــض علينـــا بخيراتـــه فيـروى الغـراس وتـروى الظمـاء
وتسـرى الحيـاة فيزكـو النبـات وتحيـا المـوات ويحيـا الرجـاء [2]

فالشاعر يعتز بمصر من سماء ونيل يفيض بالرخاء من سمته الوفاء . ومن الشعراء الذين تغنوا بالنيل أيضا أم ير الشعراء أحمد شوقي الذي كتب للأطفال أبياتا عذبة ، تفيض بالموسيقي وتنساب كما ينساب الماء في مجري النيل ؛ يقول شوقي :

النيــلُ العَــذبُ هُــوَ الكَوثــرَ وَالجَنَّــةُ شــاطِئُهُ الأَخضَــر
رَيّــانُ الصَــفحَةِ وَالمَنظَــر مــا أَبهــى الخُلــدَ وَمــا أَنضَــر

---

١ كامل كيلاني : ديوان كامل كيلاني للأطفال إعداد ودراسة عبد التواب يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ ١٥٦ ، ١٥٧ ،١٥٨

٢ المرجع السابق : صـ٢٥ ، ٢٦

البَحـــرُ الفَيّـــاضُ القُـــدسُ ... الســـاقي النـــاسَ وَمـــا غَرَسـوا
وَهـــوَ المِنـــوالُ لِمـــا لَبِســـوا ... وَالمُـــنعِمُ بِـــالقُطنِ الأَنـــوَر
جَعـــلَ الإِحســـانَ لَـــهُ شَـــرعا ... لَـــم يُخـــلِ الـــوادِيَ مِـــن مَرعـــى
فَتَـــرى زَرعـــاً يَتلـــو زَرعـــا ... وَهُنـــا يُجنـــى وَهُنـــا يُبـــذَر
جـــارٍ وَيُـــرى لَـــيسَ بِجـــارِ ... لِأَنـــاةٍ فيـــهِ وَوَقـــار
يَنصَـــبُّ كَتَـــلٍ مُنهـــارِ ... وَيَضِـــجُّ فَتَحسَبُـــهُ يَـــزأَر
حَبَشِـــيُّ اللَـــونِ كَجيرَتِـــهِ ... مِـــن مَنبَعِـــهِ و بُحَيرَتِـــهِ
صَـــبَغَ الشَـــطَّينِ بِسُـــمرَتِهِ ... لَونـــاً كَالمِســـكِ وَكَالعَنبَـــر[1]

وبالرغم من عذوبة هذه الأبيات وسلاستها وكأنها نغم موسيقي فالدكتور أحمد زلط يرى أن نشيد النيل للهراوي ؛ و الذي يقول فيه :

" النيـــــل سلسبيـــــل ... لـــــيس لـــــه مثيـــــل
نهـــــر كـــــريم طيـــــب ... يـــــروي الثـــــرى فيخصـــــب
واديـــــه روض أخضـــــر ... ينســـــاب فيـــــه الكوثـــــر
يفـــــيض بالإحســـــان ... فـــــي مصـــــر و الســـــودان
والنيـــــل فـــــي القطـــــرين ... حيـــــاة توأميـــــن
فليحيـــــا نيـــــل مصـــــر ... مـــــدى الزمـــــان حـــــرا

يحمل فكرة جديدة لم يتناولها أحمد شوقي في نشيد النيل وهي التأكيد على فيوضات النيل على مصر و السودان " [2]وفي الوقت نفسه " يري أن نشيد النيل لشوقي كان أكثر إيجازا من نشيد الهراوي فشوقي طرح الفكرة في بيت واحد دال

١ أحمد شوقي :المختار من ديوان شوقي للأطفال مكتبة الأسرة ٢٠٠٢صـ ٥١
٢ أحمد زلط :أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي مرجع سابق ، صـ ٥٠

بينما طرحها الهراوي في ثلاثة أبيات " [1]ونحن لا ننشغل بمثل هذه المقارنة بقدر ما يشغلنا اهتمام الشعراء بالنيل وتغنيهم بجماله وجمال شاطئيه ، وأثره في حياة المصريين . ولقد تعدى الأمر التأثير الجمالي و المادي للنيل في حياة المصريين لدي أدباء الطفل حتى وجدنا شاعر الأطفال محمد الهراوي يوثق بعد الاحتفالات الخاصة بالنيل و التي تجري على أرض مصر ؛ يقول :

حفلة وفاء النيل

كلمـــا جـــــدَّ وفـــــاءٌ ... قـــام للنِّيـــلِ احتفـــــاءُ

مهرجـــانٌ هـــو فـــي النهـــ ... ـــرِ وفـــي البـــرِّ ســـواءُ

فعلـــى المـــاء سفيـــنٌ ... راح يُزْجيهـــا الهـــواءُ

وعلـــى الأرضِ جـــوارٍ ... ســـخَّرتْها الكهربـــاءُ

وبُنـــودٌ وجنـــودٌ ... ووُفـــودٌ وعظمـــاءُ

وسِـــهامٌ نيِّـــراتٌ ... ضـــاءَ مـــنهنَّ الفضَـــاءُ

قَصَـــفَ المِـــدْفَعُ فيـــه ... وعـــلا فيـــه الدُّعـــاءُ [2]

ولا يكتف الهراوي بتخليد هذه اللحظة التى تصف احتفالات المصريين بجريان الماء في النيل وإطلاق المدافع طلقاتها ووفود الشخصيات العظيمة في هذا المحفل العظيم ؛ بل نجده يتجاوز ذلك ليكتب نشيدا لوفاء النيل ؛ حيث يقول:

نشيد وفاء النيل :

أيُّهـــا النيـــلُ سلامـــا ... مـــا جـــرى بالخصْـــبِ مـــاءُ

أوْفِ يـــا نيـــلُ وأقبـــلْ ... أنـــتَ غـــوْثٌ ورجـــاءُ

---

١ أالمرجع السابق ، صـ ٥١

٢ محمد الهراوي : سمير الأطفال دار الكتب المصرية ١٩٢٢ صـ ٦٧

كلَّمـــا أقبـــلَ فيْـــضٌ ... فـــاضَ فـــي النـــاسِ الرَّخـــاءُ
أنـــتَ للحـــرثِ وللنـَّـــ ... نســـلِ شـــرابٌ وغـــذاءُ
بـــكَ يحْيـــا الـــزرعُ والضِّـــ ... ـــرْعُ ويغنـــى الفقـــراءُ
دمْـــتَ يـــا نيـــلُ لمصـــرٍ ... ولْيَـــدمْ منـــكَ الوفـــاءُ [1]

وكان للأهرامات نصيب في شعر بعض الشعراء وخاصة الهراوي الذي يقول في وصف الأهرامات :

أهـــرام مصـــر مشيَّـــدا ... تٌ منـــذ قديـــم الأزلِ
بُنْيانُهـــا مُعْجـــزةٌ ... لأنّـــه لـــمْ يـــزُلْ
تَخالُهـــا مـــن بُعُـــدٍ ... مثْـــلَ سَنـــامِ الجمـــلِ
كانـــتْ نـــواويسَ الملـــو ... ك فـــي العصـــورِ الأُولِ
واليـــومَ صـــارتْ آيـــة ... تُـــربُ عنـــدَ المثـــلِ [2]

ويصف محمد الهراوي أبا الهول :

هـــذا أبـــو الهـــول الـــذي ... يُعـــدُّ صِـــنْوَ الشّمـــسِ
فلـــمْ يَحُـــلْ فـــي يومـــهِ ... عـــن حالـــه بالأمـــسِ
ولـــمْ ينـــلْ منْـــهُ البلـــي ... إلا منـــالَ اليـــأْسِ
مـــرَّتْ عليْـــهِ أمـــمٌ ... مُختلفـــاتُ الجنـــسِ
شـــاهدها مـــنْ مَهـــدها ... حتـــة ثـــوتْ فـــي الـــرَّمسِ [3]

---

١ محمد الهراوي : سمير الأطفال دار الكتب المصرية ١٩٢٢ صـ ٦٧
٢ المرجع السابق صـ ٦٩
٣ المرجع السابق صـ ٦٨

ولم يقف الهراوي عند هذا الحد من وصف النيل والأهرامات فهو لا يدع مناسبة أوفرصة إلا وزج بهما في شعره ؛فإذا أراد أن يخاطب بنات مصر قال لهن (فتيات النيل) ويكتب لهن نشيدا باسم (نشيد فتيات النيل) ؛ حيث يقول:

أنـــتِ يـــا عِـــزَّ حِمـــاكِ حَمِـــدَ النِّيـــلُ سُـــراكِ

ورعـــــى الله أخـــــاك ملـــكَ اليـــومَ الزِّمامـــا

.....

أيُّهـــا الـــدَّهرُ رُويْـــدًا كِـــدْ لغيـــرِ النيـــلِ كيـــدا

لا يُطيـــقُ النِّيـــلُ قيْـــدًا وقضـــــى ألّا يُضـــاما

.....

يـــا فتـــاةَ النّيـــلِ هـــاتِ مـــن صـــنيعِ المكرمـــات

وتَخَطِّـــــي للحيـــــاةِ كـــلَّ يـــومٍ منـــك عامـــا

.....

كـــلُّ مجْـــدٍ فهـــو منْـــكِ ســـائلي الأهـــرامَ عنْـــكِ

وأبـــا الهـــولِ يُجبْـــكِ إنَّ للصَّـــخْرِ كلامًـــا[1]

فالشاعر يخاطب فتيات مصر وينسبهم للنيل ؛ تمجيدا وتكريما لهن ، وحث لهن بالبذل و العطاء كما يفيض النيل ويعطي دون مقابل .

وأخيرا فإن مصر بطبيعتها المتميزة قد انعكست على شعراء الأطفال وظهر هذا التأثر جليا في كتاباتهم الفنية .

١ المرجع السابق صـ ٣٢ ، ٣٣

الخاتمة

مما سبق يتأكد لنا أن أدباء الطفل بصورة مقصودة أو غير مقصودة قد أسهموا في رسم الهوية المصرية وتقديمها للأطفال في قالب أدبي ؛ ولقد ساعدهم التاريخ المصري العريق على رسم هذه الصورة ، ، وهي إن كانت متفرقة في أعمالهم الفنية ومتناثرة وسط السطور غير أن موهبة الأدباء وحسهم الوطني وثقافتهم التاريخية قد مكنتهم من تقديم صورة مصرية للأطفال تكاد تكون متكاملة العناصر . ومن هنا قمنا بجمع شتات هذه الصورة المتناثرة من الكتابات القديمة و الحديثة للأطفال ، وقد مكني الله . تعالى . من الوصول لمعظم الأعمال الفنية التى ندر وجودها ،ولا سيما تلك الأعمال الفنية التي تتناول مصر الفرعونية . وقد اتضح جليا من هذه الدراسة عدة قضايا أهمها :

ـ اهتمام بعض الأدباء مثل السحار وأحمد نجيب وعلي ماهر وغيرهم؛ بتاريخ مصر الفرعوني، وبالرغم من تعدد أهدافهم في هذا الصدد ؛ ومن تباين طرائق تعبيرهم ؛ فإنهم جميعا يلتفون حول هدف رئيس وهو دعم الحس الوطني لدي الأطفال ، وتنمية اعتزازهم بماضيهم المجيد من خلال فن أدبي شائق .

ـ اهتم بعض الأدباء بتاريخ مصر الإسلامية ، وبرزت حقبة الأيوبيين و المماليك في هذه الأعمال الفنية ودارت حولهما أعمال أدبية كثيرة مثل قصة وا إسلاماه وقصة شجرة الدر وقصة الهلال و الصليب . .. وغير ذلك من الأعمال الفنية التى تحفل بهذه النقطة المضيئة من تاريخ مصر الإسلامي . وبالرغم من أن الحقبة التي دارت فيها هذه الأعمال واحدة ؛ غير أن كل أديب سلط الضوء على نقطة ما ، وعبر بأسلوبه الخاص على قضيته ، مما أضفي ثراء وتنوعا في النتاج الأدبي لهذه الفترة الزمنية من تاريخ مصر .

ـ ولقد نالت مصر الحديثة من أدباء الطفل اهتماما أكبر ، وصار أدب الطفل يعالج قضايا أكثر عمقا ؛ فنجد الفكر السياسي يخيم على بعض الأعمال الأدبية ولا سيما عن أمير الشعراء أحمد شوقي ووجدنا تصورا للفكر السياسي

القائم وتصورا آخرا للتطلعات السياسية من خلال نصوص متنوعة شعرا وقصة ومسرحا . كما اهتم الأدباء بقضايا العروبة من تفتت وتشرزم ، واحتلال . ثم كان للطبيعة المصرية نصيبا كبيرا من اهتمام الأدباء ، ولم لا ؟! و النيل في مصر عبر الزمن يعد مصدرا لإلهام الأدباء .

وفي ختام بحثي هذا أدعو الأدباء لإعادة النظر في تاريخ مصر (الفرعونى ، والإسلامي) ؛ لأن هذا التاريخ أوسع بكثير من تلك الأعمال المتداولة والمنشورة ، كما أدعوا الباحثين لتقديم كثير من الدراسات حول التاريخ المصري المقدم في أدب الأطفال . والله ولي التوفيق .

ثبت المصادر و المراجع

. القرآن الكريم

أولا المصادر :

١. أحمد سويلم : فلسطين عربية رؤية شعرية ، نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٢

٢. احمد شوقي : المختار من ديوان شوقي للأطفال ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢

٣. أحمد نجيب : عروس النيل ؛ القاهرة ط١ ١٩٧٩

٤. أحمد نجيب : مسلة كليوباترا القاهرة ط١ ١٩٧٧

٥. جهان سلام : الصبية و العجوز في مملكة الكنوز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥

٦. السيد حافظ : أولاد جحا دار العربي ١٩٩٦

٧. السيد حافظ. "أبو زيد الهلالي". . (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤)،،

٨. صلاح شعير : مسرحية مملكة الأسود ، الجيزة مؤسسة يسطرون للطباعة و النشر عام ٢٠١٤

٩. عبد التواب يوسف : الهلال و الصليب مكتبة روز اليوسف القاهرة يناير ١٩٨٠

١٠. عبد الحميد جودة السحار: " أحمس بطل الاستقلال " مكتبة مصر ١٩٧٧

١١. عبدالله النديم : مجلة «التنكيت والتبكيت»،

١٢. عز الدين فراج : كفاح شعب مصر القاهرة ٢٠١٨

١٣. على ماهر عيد :" سنوحي .. الهارب النبيل "الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٦

١٤. علي أحمد باكثير : قصة وا إسلاماه مكتبة مصر القاهرة د ت ، دط

١٥. كامل كيلانـي : ديوان شعر الأطفال القاهرة إعداد ودراسة عبد التواب يوسف د ط ، د ت
١٦. محمد الهراوي : ديوان أنباء الرسل دار المحفوظات دط ، دت
١٧. محمد الهراوي : سمير الأطفال دار الكتب المصرية ١٩٢٢
١٨. محمد سعيد العريان : قصة شجرة الدر دط ، دت
١٩. محمد عبد الحافظ ناصف : مختارات مسرحية (مسرحية أرض الله) القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٨
٢٠. محمد عبد الحافظ ناصف : مختارات مسرحية (مسرحية النهر) ؛ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ٢٠١٨
٢١. منتصر ثابت : خونانوب الفلاح الفصيح ،القاهرة روايات الهلال ، سلسلة تاريخ مصر

ثانيا المراجع

١. ابن السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحي القاهرة ١٩٧١
٢. أحمد زلط : أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي دار المعارف القاهرة ١٩٩٤
٣. خير الدين الزركلي : الأعلام
٤. سليم حسن : موسوعة مصر القديمة ؛ عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ط٢٠١٩
٥. عبد الله عمر الخطيب : روايات على أحمد باكثير دراسة في الرؤية والتشكيل ، رسالة ماجستير، إشراف د سمير قطامي ، الأردن ٢٠٠٣
٦. نجيب الكيلاني : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة ط ٤ ، ١٩٨٥ بيروت

٧. يوسف زيد: التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٨٥م،

ثالثا:. الرسائل العلمية و الأبحاث :

١. ابتسام عبد المنعم محمد حافظ : مسرح الطفل عند حسام الدين عبد العزيز، الرؤية الفنية و التشكيل الفني رسالة ماجستير تحت إشراف أ م د كمال سعد ، د هدى حسانين . كلية البنات الإسلامية بأسيوط ٢٠١٧ م

٢. محمد توفيق حرحش : السيرة النبوية في أدب الطفل بمصر في العصر الحديث ، رسالة ما جستير تحت إشراف أد محمد زكريا عناني ، كلية الآداب جامعة الأسكندرية ٢٠٠٩

٣. محمد توفيق حرحش : فلسطين في عيون أدباء الطفل ؛ مجلة فكر وإبداع ، رابطة الأدب الحديث ، يناير ٢٠١٤

٤. هدى سامي نصار : مسرح محمد ناصف .. القصية والبناء الفني مسرحية " النهر " نموذجا إشراف أ م د فرج عمر فرج ، د نهي مندور المجلة العلمية لكلية التربية النوعية ع ٢٥ يناير ٢٠٢١ج١

٥. هدى سعيد عبد العليم صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ مجلة بحوث التربية النوعية جامعة المنصورة مجلد يوليو ٢٠١٩ العدد ٥٥